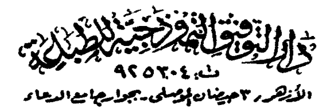
عبد رب النبي علي أبو السعود
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الأخوة الإسلامية

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعــة الأولى

١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تبارك وتعالى ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بالاعتصام بحبله ، وألف بين قلوبنا بفضله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أفضل أنبيائه ، وخاتم رسله ، جمع الناس على التقوى ، وأقام أمته على روح الاخاء ، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، المتحابين فى الله ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ..

ان المجتمع المتحاب بروح الله الملتقى على شعائر الاسلام ، يقوم اخاء العقيدة مقام اخاء النسب ، وربما ربت رابطة الايمان على رابطة الدم . والحق ان أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبناء الاسلام أول مرة وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين ، ثم خرجت بعد صراع طويل وهى رفيعة العماد وطيدة الأركان ، على حين ذاب أعداؤها وهلكوا[1] .

لقد جاء الاسلام بقرآن يتلى ويطبق :

قال تعالى : **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير »(٢)**

وبدعوة نبوية كريمة : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم

---

(١) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ، ص ٢١٢
(٢) الحجرات : ١٣

واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى ... »[1] .

وقد ظهرت ملامح هذا الرابط العالمى بوضوح فى مجتمع المدينة المنورة ، حين التقى أهـــل مكة بأهل يثرب لا يجمـــع بينهم الا الدين الجديد (الاسلام) فكان أروع منظر لسلطان الدين شـــهده التاريخ . وكان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبـــار حرب بعاث ولا تزال سيوفهم تقطر دما . فألف الاسلام بين قلوبهم . ولو أنفق أحـــد ما فى الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم . ثم آخى رســـول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين المهاجرين فكانت أخـــوة تزرى بأخوة الأشـــقاء — المؤلفة من أهـــل مكة المهاجرين وأهـــل يثرب الأنصـــار — نواة للأمة الاسلامية الكبيرة التى أخرجت للناس ..

فكان ظهور هذه الجماعة فى هذه الساعة العصيبة وقاية للعالم من الانحلال الذى كان يهدده وعصمة للانسانية من الفتن والأخطار التى أحدقت بها[2] .

فبهذه الأخوة الاسلامية التى جمعت بينهم وأسسوا عليها دولتهم — ســـاروا يضربون فى الأرض دعاة فاتحين يحملون النـــور الى البشرية التى أطبـــق عليها ظلام الجهل ومزقتها عصبياته وطبقاته . فأخرجـــوا الناس من الظلمات الى النـــور ، ومن الرق الى الحرية ، ومن عبـــادة العباد الى عبادة رب العبـــاد ، ومن ضيق الدنيـــا الى ســـعة الدنيـــا والآخرة ، ومن جور الأديان الى عـــدل الاسلام ، وخلصوا الناس من ملوك اتخذوا بلاد الله دولا ، وعباد الله خولا ، ومن أحبار ورهبـــان أصبحوا أربابا من دون الله يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن

---

(١) جزء من خطبة الوداع .. انظر : القول المبين فى سيرة ســـيد المرسين — محمد الطيب النجار ص ٣٢٩

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المســـلمين — ابو الحسن الندوى — ص ٩٧ ، ٩٨

سبيل الله ، ولم يمض قرن على تلك الدعوة الربانية العالمية حتى توغلت فى أقصى آسيا وتغلغلت فى قارة افريقيا ورسخت قدمها فى قارة أوروبا ، وقال أحد قادتها فى افريقيا وقد انتهت به فرسه الى المحيط الأطلسى ووقف وهو على ظهر جواده سالا سيفه من غمده : « اللهم لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضا لخضته غازيا فى سبيلك »(١) .

من هنا يظهر لنا جليا أهمية تحقيق مقتضى الأخوة الاسلامية فى حياة المجتمع المسلم . فلن يكون للمسلمين دولة قوية الا اذا تآخوا . ولن يدفعوا عن أنفسهم الظلم الا اذا تآخوا . ولن ينشروا دعوتهم الا اذا تآخوا . ولن يعيدوا مجدهم وحضارتهم الا اذا تآخوا . فبالأخوة الاسلامية يتحد صفهم ، وتثبت أقدامهم ، وتعلو هممهم ، وتشتد قوتهم ، فينتصر جيشهم ، ويهزمون عدوهم ، ويأمنون على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وديارهم وأموالهم .

لا شىء من ذلك يحصل بقومية أو اشتراكية أو رأسمالية ، انما يحصل بالثقة بدين الاسلام والثقة بأهله ، وهما الدافعان الى الأخوة الاسلامية . اننا نريد أن نرى الأخوة الاسلامية ترفرف على مجتمعنا الاسلامى فأول الأسلحة وأمضاها لمواجهة الخطر هو أن نعود الى الله ، وأن نعتصم بحبله ، كى نرضى ربنا ونستعيد مجدنا وسلطاننا ، ونحيى حضارتنا .. والله مولانا .. نعم المولى ونعم النصير .

ومن الجدير بالذكر أنه ورد فى جريدة أخبار العالم الاسلامى التى تصدر عن ادارة الصحافة والنشر .. رابطة العالم الاسلامى — العدد ١١٤٩ — بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ (١٨ ديسمبر سنة ١٩٨٩ م) :

---

(١) فتوحات الاسلام فى افريقيا والمغرب والاندلس — محمد النجار ، واحمد مجاهد — القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٣٧٨ هـ ، ص ١٧

● **توصيات ندوة الأخوة الاسلامية فى افريقيا ب « كوناكرى » :**

التأكيد على أن الدين الاسلامى نادى بالأخـوة الاسـلامية وأمر بالتكافل الاجتماعى والانسانى وحارب كل أنواع التفرقة العنصرية .

*** كوناكرى ـ غينيـا :**

أكدت ندوة الأخوة الاسلامية فى افريقيا التى نظمتها رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع وزارة الشئون الدينية بجمهورية غينيا ـ كوناكرى والتى اختتمت أعمالها مؤخرا على أن الأخوة الاسلامية التى نادى بها الدين الاسلامى الحنيف بالحاح ترتكز على المسـاواة الكاملة بين أبناء البشر ، تلك المسـاواة النابعة عن توحيد الربوبية وتوحيـد العبودية ووحدة الأصل ، هذه المبادىء عملية وملموسة وملزمة ...

الرياض : ذو الحجة سنة ١٤١٠ هـ (يوليو سنة ١٩٩٠ م) .

عبد رب النبى على ابو السعود

* * *

بين يــدى البحث

الحمد لله الذى جعــل من أخوة الايمان ، أعظم داع الى التعاون على البر والاحسان ، ونفع المؤمن لأخيــه المؤمن وان اختلفت الألســنة والألوان .

والصلاة والســلام على من ختم به الارسال ، وأخرج به الى نور الحق من ظلمات الضلال ، فى العقائد والأخلاق والأعمال : سيدنا ومولانا محمد ، صلاة وسلاما يعمان الصحب والآل .

أما بعــد[1] ..

ليست هناك دواع تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتا متناكرين . بل ان الدواعى القائمة على المنطق الحــق والعاطفــة الســليمة تعطف البشر بعضهم على البعض ، وتمهد لهم مجتمعا متكافلا تسوده المحبة ، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض . والله عز وجل رد أنســاب الناس وأجناسهم الى أبوين اثنين ، ليجعل من هذه الرحم المــاسة ملتقى تتشابك عنــده الصلات وتستوثق .

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾[2] .

فالتعارف لا التنافر ـــ أساس العلائق بين البشر ، وقد تطرأ عوائق تمنع هــذا التعارف الواجب من المضى فى مجراه ، وامــداد الحيــاة بآثارها الصالحة ، وفى زحام البشر على موارد الرزق ، وفى اختلافهم على فهم الحق وتحديد الخير قد يثور نزاع ، ويقع صــدام ، بيد أن هــذه الأحداث السيئة لا ينبغى أن تنسى الحكمة المنشــودة من خلو الناس وتعمير الأرض بجهودهم المتناسقة .

---

(1) انظر : نبراس المرشدين فى أمور الدنيا والدين ـــ محمــد البشير النيفر ، ص ٤٢٩ ، الدار التونسية ١٩٧٧

(2) الحجرات : ١٣

وكل رابطة توطد هذا التعارف وتزيح من طريقه العوائق فهى رابطة يجب تدعيمها والانتفاع بخصائصها . وليس الاسلام رابطة تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب ، ولكنه جملة الحقائق التى تقر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس أجمعين .

وبذلك يصير الدين الخالص أساس أخوة وثيقة العرى ، تؤلف بين أتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتجعل منهم ، على اختلاف الأمكنة والأزمنة وحدة راسخة الدعامة سامقة البناء لا تنال منها العواصف الهوج .

وهذه الأخوة هى روح الايمان الحى ، ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لاخوانه ، حتى انه ليحيا بهم ويحيا لهم ، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة ، أو روح واحد حل فى أجسام متعددة[1] .

يقول الفيلسوف الانجليزى « توماس كارليل » يصف الأمة العربية بعد الاسلام : « قوم يضربون فى الصحراء ، لا يعتنى بهم عدة قرون . فلما جاءهم النبى العربى ، صاروا قبلة الأنظار فى العلوم والمعارف وكثروا بعد أن كانوا قليلين وعزوا بعد أن كانوا أذلاء . ولم يمض قرن بعد الاسلام حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم » .

جاء الاسلام فخلق الأمة الاسلامية خلقا جديدا ، وبث فيها : مراعاة حقوق الجار ، والصدق فى القول ، والاخلاص فى العمل ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين والعطف على اليتيم والفقير ، والمسكين وابن السبيل ، والصبر ، وضبط النفس ، وكظم الغيظ ، والحلم ، والعفو عن المسىء ، والعدالة فى الحكم ، واجتناب الظلم ،

---

(١) انظر : خلق المسلم ــ محمد الغزالى ، ص ١٧٠ وما بعدها ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٧٤

والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وحب الاحسان والايثار والتعاون على فعل الخير ، والتسابق فى عمل البر ، والخوف من الله فى السر والعلنية »[1] .

ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن اخوانه ظهير له فى السراء والضراء ، وأن قوته لا تتحرك فى الحياة وحدها . بل ان قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[2] .

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين ، لا تناصر العصبيات العمياء ، بل تناصر المؤمنين المصلحين لاحقاق الحق وابطال الباطل وردع المعتدى واجارة المهضوم ، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده فى معترك ، بل لابد من الوقوف بجانبه على أى حال لارشاده ان ضل ، وحجزه ان تطاول ، والدفاع عنه ان هوجم ، والقتال معه اذا استبيح .. وذلك معنى التناصر الذى فرضه الاسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قال : أنصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : « تحجزه عن ظلمه فذلك نصره » [3] .

والحق ان أواصر الأخوة فى الله هى التى جمعت أبناء الاسلام أول مرة ، وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين ، ثم خرجت بعد صراع طويل وهى رفيعة العماد وطيدة الأركان . على حين ذاب أعداؤها وهلكوا[4] .

---

(١) عظمة الاسلام ـ محمد عطية الابراشى ، ص ١٨٨ ـ القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٧

(٢) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٩ ـ ٢٥٨٥

(٣) البخارى : جـ ٣ ص ١٦٨

(٤) انظر : خلق المسلم ـ محمد الغزالى ، ص ١٧٦

ومن الجدير بالذكر أننى عندما أردت الكتابة فى موضوع الأخوة الاسلامية أعددت المخطط التالى :

مقــدمة .

بين يدى البحث .

تمهيد ومعنى الأخوة فى اللغــة .

تعريف الأخــوة .

أنواع الأخوة :

١ ـ الأخــوة النسبية .

٢ ـ الأخوة الاسلامية .

وبينت فضل الأخوة فى الله ، وحقوق الأخــوة فى الله ، وأدب الأخوة ، ثم أعددت أربعة فصول ، وكل فصل يتكون من عدة مباحث :

الفصل الأول : الأساليب القرآنية فى الحث على الأخوة الاسلامية:

المبحث الأول : الحث الصريح على الأخوة .. فى قوله تعالى : ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ .

المبحث الثانى : الحث غير المباشر على الأخوة فى الله بذكر نعم الله على المسلمين المتآخين فى الله : ﴿ فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾ .

المبحث الثالث : الحث على التزام الأخوة الايمانية من خــلال ذكر وقائع الأمم السابقة : ﴿ واذكر اخا عاد ﴾ ونحو ذلك .

الفصل الثانى : المجالات التى استخدمت كلمة الأخ فيها :

المبحث الأول : الحث على الالتزام بعقيدة التوحيد .

المبحث الثانى : مجال الحث على التسامح والتمسك بالفضائل.

المبحث الثالث : الحث على التخلى عن الرذائل .

المبحث الرابع : شــد الأزر .

الفصل الثالث : مقومات الأخوة الاسلامية :

المبحث الأول : رابطة الولاء فى الله .

المبحث الثانى : العبادات وأثرها فى تقوية روابط الأخوة .

المبحث الثالث : الأخلاق الاسلامية وأثرها على الأخوة .

المبحث الرابع : التجاوز عن زلة الآخرين .

الفصل الرابع : ثمار الأخوة فى الله :

المبحث الأول : الثمار الدنيوية العاجلة .

المبحث الثانى : الثمار الأخروية الآجلة .

الخاتمـــة .

وعلى الله قصد السبيل .

* * *

تمهيد

معنى الأخوة في اللغة

● **تركيبها الصرفي :**

الأخوة : مصدر : آخى محمد عليا اذا اتخذه أخا . والمفاعلة منه مؤاخاة ، يقال : تآخى محمد وعلى .

والأخ أصله أخو ــ بفتح الخاء ــ لأنه جمع على آخاء مثل آباء ، والذهب منه « واو » لأنك تقول في التثنية : أخوان .. ويجمع أيضا على اخوان .. وعلى اخوة ــ بكسر الهمزة وضمها .. وأكثر ما يستعمل الاخوان في الأصدقاء والأخوة في الولادة ..

وأخ بين الأخوة ، وأخت بينة الأخوة أيضا ، وآخاه مؤاخاة واخاء .. وتأخيت أخا أي اتخذت أخا[1] .

وسمى الأخ أخا لأنه يتوخى مذهب أخيه ــ أي يقصده[2] .

***

● **معناها اللغوي :**

الأصل في الأخوة أنها للقرابة في النسب والاشتراك في الولادة القريبة من الأب أو الأم . قال الله تعالى عن موسى وأخيه هارون : **﴿ وألقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه ، قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾[3]** .

٢ ــ وقد تطلق على الاشتراك في النسب البعيد . يقال : أخو العرب . ويقال : أخو تميم .

---

(١) انظر : مختار الصحاح ــ محمد بن ابى بكر الرازى ، ص ٨ ــ مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٢ هـ .

(٢) مع العقيدة والحركة ــ على عبد الحليم محمود ، ص ٨١

(٣) الأعراف : ١٥٠

وقد استعمل كثيرا فى القرآن ، قال تعالى : ﴿ **والى عاد آخاهم هودا** ﴾(١) .

* * *

● تعريف الأخوة :

ان عناصر الأخوة فى مفهوم الناس لا تعدو أنها لقاء فى النسب على أبوين أو على أحدهما .

فاذا ارتقينا عاليا فوق الأبوين القريبين ، وتسلسلنا مع الآباء والأمهات ، وجدنا أن المجموعة البشرية كلها تلتقى على أصل واحد ، فبين الناس جميعا — على هذا المعنى المادى — أخوة عامة أعلنها القرآن بقول الله تعالى فى سورة الحجرات :

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾(٢) .

* * *

● انواع الأخوة :

١ — الأخوة النسبية .   ٢ — الأخوة الاسلامية .

١ — الاخوة النسبية :

هى الأخوة المعروفة والمتداولة بين الناس والتى لا تعدو أنها لقاء فى أبوين أو على أحدهما(٣) .

٢ — الأخوة الاسلامية :

هى روح الايمان الحى ، ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لاخوانه ، حتى انه ليحيا بهم ويحيا لهم ، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة ، أو روح واحد حل فى أجسام متعددة(٤) .

* * *

---

(١) هود : ٥٠
(٢) الأخلاق الاسلامية واسسها — عبد الرحمن الميدانى ، ج ٢ ، ص ١٨٤
(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة (بتصرف) .
(٤) خلق المسلم — محمد الغزالى ، ص ١٧١

● **فضـــل الأخـــوة فى الله :**

ولمـــا كانت الأخوة فى الله سرا قدسيا ، وصفة ملازمة للايمان ، فقد جعـــل الله عز وجل لها من الفضل وعلو المنزلة والأجر ما يدفع أبناء القرآن الى استشراقها والحرص عليها ، واليك طائفة من هـــذه الأحاديث على ســـبيل المثال لا على ســـبيل الحصر . ولن تتناول هـــذه الأحاديث بشرح أو تعليـــق فبلاغتها وقوة روحها ونصاعة بيانها تغنينا عن ذلك .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة يظلهم الله يوم القيـــامة يوم لا ظل الا ظـــله : امام عادل ، وشـــاب نشأ فى عبادة الله عز وجـــل ، ورجـــل قلبـــه معلق بالمســـاجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليـــه وتفرقا عليـــه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[1] .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم : « ان رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : من تريد ؟ قال : أريد أخـــا لى فى هـــذه القرية ، قال : هـــل لك عليـــه من نعمة تربها عليـــه ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى . قال : انى رســـول الله اليـــك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه »[2] .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم أنه قال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنـــة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنـــوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[3] .

---

(١) انظر : صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧١٥ ، ١٠٣١
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٨ ، ٢٥٦٧
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٤ ، ٧٤

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليــوم أظلهم يوم لا ظل الا ظلى »[1] .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن الله تبارك وتعالى يقول : « حقت محبتى للمتحابين فى ، وحقت محبتى للمتواصلين فى ، وحقت محبتى للمتباذلين فى ، المتحابون فى على منابر من نور ، يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء »[2] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه : « أفضل الأعمال : الحب فى الله والبغض فى الله »[3] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وســلم عن أفضل الايمان فقال : « أن تحب لله وتبغض لله ، وتعمل لسانك فى ذكر الله » ، قيل : ثم ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك »[4] .

وعن عمرو بن الجموح رضى الله عنه : « لا يجــد العبد صريح الايمــان حتى يحب لله ويبغض لله ، فاذا أحب لله وأبغض لله استحق الولاية لله »[5] .

وعن عمر رضى الله عنه : « ان من عباد الله ناسا ما هم بأنبيــاء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله » . قالوا : يا رسول الله ، ألا تخبرنا من هم ؟ قال : « قوم تحابوا بروح الله

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٨ ، ٢٥٦٦.

(٢) السنن الكبرى ــ البيهقى جـ ١٠ ص ٢٣٣

(٣) ابو داود جـ ٥ ص ٦ ، ٤٥٩٩

(٤) مسند الامام احمد بن حنبل : جـ ٥ ص ٢٤٧

(٥) السنن الكبرى ــ البيهقى جـ ١٠ ص ٢٣٢

على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزنوا » ثم قرأ:

﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(1) .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه : « المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش » (2) .

فالى الأخوة ، الى الأخوة أيها الأحباب ، الى النور ومنابر اللؤلؤ وكراسى الياقوت ومجلس الرحمن(3) .

* * *

● **حقوق الأخوة فى الله :**

ومن حقوق هذه الأخوة ما يلى :

١ — المواساة بالمال ، فيواسى كل منهما أخاه بماله ان احتاج اليه ، بحيث يكون دينارهما ودرهمهما واحدا لا فرق بينهما فيه ، كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه اذ أتاه رجل فقال : انى أريد أن أؤاخيك فى الله ، قال : أتدرى ما حق الاخاء ؟ قال : عرفنى ، قال : لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى . قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد ، قال : فاذهب عنى .

٢ — أن يكون كل منهما عونا لصاحبه يقضى حاجته ويقدمها على نفسه ، يتفقد أحواله كما يتفقد أحوال نفسه ، ويؤثره على نفسه ، وعلى أهله وأولاده ، يسأل عنه بعد كل ثلاث فان كان مريضا عاده ، وان كان مشغولا أعانه ، وان كان ناسيا ذكره ، يرحب به اذا دنا ، ويوسع له اذا جلس ، ويصغى اليه اذا حدث .

---

(1) ابو داود (٣٥٢٧) — والآية من سورة يونس : ٦٢
(2) مسند الامام احمد : جـ ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧
(3) انظر : رسالة الأخوة الاسلامية ، ص ٨ — ١٠

٣ — أن يكف عنه لسانه الا بخير ، فلا يذكر له عيبا فى غيبته أو حضوره ولا يستكشف أسراره ، ولا يحاول التطلع الى خبايا نفسه ، واذا رآه فى طريقه لحاجة من حاجات نفسه فلا يفاتحه ذكرها ، ولا يحاول التعرف الى مصدرها أو موردها ، يتلطف فى أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر ، لا يماريه فى الكلام ، ولا يجادله بحق أو بباطل • لا يعاتبه فى شىء ، ولا يعتب عليه فى آخر •

٤ — أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه ، فيدعوه بأحب أسمائه اليه ، ويذكره بالخير فى الغيبة والحضور ، يبلغه ثناء الناس عليه ، مظهرا اغتباطه بذلك ، وفرحه به ، لا يسترسل فى نصحه فيقلقه ، ولا ينصحه أمام الناس فيفضحه • كما قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه •

٥ — يعفو عن زلاته ، ويتغاضى عن هفواته ، يستر عيوبه ، ويحسن به ظنونه • وان ارتكب معصية سرا أو علانية فلا يقطع مودته ، ولا يهمل أخوته ، بل ينتظر توبته وأوبته ، فان أصر فله صرمه وقطعه ، أو الابقاء على اخوته مع اسداء النصيحة ، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب فيتوب الله عليه • قال أبو الدرداء رضى الله عنه : اذا تغير أخوك ، وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك ، فان أخاك يعوج مرة ويستقيم مرة •

٦ — أن يفى له فى الأخوة فيثبت عليها ويديم عهدها ، لأن قطعها محبط لأجرها ، وان مات نقل المودة الى أولاده ومن والاه من أصدقائه ، محافظ على الأخوة ووفاء لصاحبها • فقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال : « انها كانت تأتينا أيام خديجة ، وان كرم العهد من الدين »[1] • ومن

---

(١) رواه الحاكم وصححه •

الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه ، اذ قال الشافعي رحمه الله تعالى : اذا أطاع صديقك عدوك ، فقد اشتركا في عداوتك .

٧ ــ أن لا يكلفه ما يشق عليه ، وأن لا يحمله ما لا يرتاح معه فلا يحاول أن يستمد منه شيئا من جاه ، أو مال ، أو يلزمه بالقيام بأعمال ، اذ أصل الأخوة كانت لله فلا ينبغي أن تحول الى غيره من جلب منافع الدنيا ، ودفع المضار . وكما لا يكلفه لا يحمله يتكلف له اذ كلاهما مخل بالأخوة مؤثر فيها ينقص من أجرها المقصود منها ، فعليه أن يطوى معه بساط التزمت والتكلف والتحفظ ، اذ بهذه تحصل الوحشة المنافية للألفة . وقد جاء في الأثر : « أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف » . وقد قال بعض الصالحين : من سقطت كلفته ، دامت ألفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته . وآية سقوط الكلفة الموجب للأنس ، والمذهبة للوحشة أن يفعل الأخ في بيت أخيه أربع خصال : أن يأكل في بيته ، ويدخل الخلاء عنده ، ويصلي وينام معه ، فاذا فعل هذه فقد تم الاخاء ، وارتفعت الحشمة الموجبة للوحشة ، ووجد الأنس وتأكد الانبساط .

٨ ــ أن يدعو له ولأولاده ومن يتعلق به بخير ما يدعو به لنفسه وأولاده ومن يتعلق به ، اذ لا فرق بين أحدهما والآخر بحكم الأخوة التي جمعت بينهما ، فيدعو له حيا وميتا وحاضرا وغائبا . قال عليه الصلاة والسلام : « اذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك : ولك مثل ذلك »[١] .

وقال أحد الصالحين : أين مثل الأخ الصالح ؟ ان أهل الرجل اذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف ، والأخ الصالح ينفرد بالحزن ، مهتما بما قدم أخوه عليه ، وما صار اليه ، يدعو له في ظلمة الليل ، ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى[٢] .

* * *

(١) رواه ابو داود ــ جـ ٢ ص ٨٦ ، ١٥٣٤
(٢) انظر منهاج المسلم : ابو بكر الجزائري ، ص ١٢٣ ــ ١٢٥ ــ الطبعة الخامسة ــ المدينة المنورة ــ دار الفكر ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) .

● **ادب الاخــوة :**

لقد جعل الله التآلف والتعارف أساسا للعلائق بين بنى البشر فقال تعالى : ﴿ **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير** ﴾(١) والانسان اجتماعى بفطرته لا بد له من العيش الهانىء والتعاون الكريم مع الآخرين ، ولا يمكن أن تستمر الصلة بين المتعايشين بشكل ودى الا اذا قامت على المحبة والمساواة : « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، وما دام الناس من أصل واحد فلا داعى اذن كى يتعالى بعضهم على بعض ، أو أن يتميز أحد على أحد • لأن مقياس التفاضل الوحيد بينهم هو التقوى والصلاح وفى ذلك فليتنافس المتنافسون • وباعتبار أن المؤمنين اخوة فلا مبرر للتحاسد والتباغض ، وما على الاخوة الا أن يحافظوا على نعمة الاخاء التى امتن الله بها عليهم : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** ﴾(٢) ولا بد لهم من التأدب بأدب الأخوة لينعموا بالسعادة فى ظلالها • واليكم بعض هذه الآداب :

١ ـ التواضع : يجدر بالأخ أن يتواضع لأخيه ويلين له ، ولا يؤذيه بكلمة قاسية أو بموقف استهتار ، وأن يسامحه ان أخطأ ويصله ان قاطعه ، ويحرص على رضائه وحسن الصلة به حتى وكأنه يقف منه موقف الذلة • ولقد وصف الله تعالى تواضع الأخ لأخيه بقوله : ﴿ **اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين** ﴾(٣) •

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله أوحى الى** أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد »(٤) •

قال أبو عثمان الحيرى (أحد الصالحين) : **من حق الصحبة : أن** توسع على أخيك من مالك ولا تطمع فى ماله ، وتنصفه من نفسك

---

(١) الحجرات : ١٣ (٢) آل عمران : ١٠٣

(٣) المائدة : ٥٤

(٤) رواه أبو داود جـ ٥ ص ٢٠٣ ، ٤٨٩٥

ولا تطلب منه الانصاف ، وتكون تبعا له ولا تطمع أن يكون تبعا لك ، وتستكثر ما يصل اليك منه ، وتستقل ما يصل اليه منك ..

ومن التواضع أن لا يتغير الأخ فى معاملته مع أخيه اذا ارتفع شأنه ، أو علا مركزه ، أو كثر ماله ، فكل ذلك الى زوال ، فحسن المعاملة وحسن السمعة هما رصيده فى الميزان . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار » .

٢ ـ الحفاظ على المودة والوفاء : وذلك بأن تذكره بما تعرف عنه من كريم الخصال ، وبالتغاضى عما يبدو منه من هنات . فان الكمال المطلق لله تعالى ، ولا يمكن لبشر أن يخلو من الأخطاء مهما بلغ من صلاح .

ومما قيل فى ذلك : « كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه » والمهم أن ترجح حسنات الأخ على سيئاته وأن يكون مستعدا لقبول النصح والتزام الحق . لذا يجدر بنا أن نبتعد عن العتاب واللوم لاخواننا وأن نلتمس لهم العذر والتأويل الحسن لتصرفاتهم ، ورحم الله الشاعر اذ يقول :

اذا كنت فى كل الأمور معاتبا ... صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

قال ابن عباس رضى الله عنه : « أحب اخوانى الى : أخ ان غبت عنه عذرنى ، وان جئته قبلنى » .

وقال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب الزلات .

ومن المودة : اكرام أقارب الأخ وأصحابه فى حياته وبعد مماته . فلقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم عجوزا وقال : « انها كانت تغشانا فى أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان » . كما يستحسن أن ننقل للأخ ثناء من أثنى عليه ونظهر سرورنا له ، كما يحسن أن

نبلغه حبنا له لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » (رواه الترمذى ، حديث صحيح) • ومن المودة أن نبدأه بالسلام ونبش فى وجهه ونوسع له فى المكان ليجلس بقربنا ونناديه بأحب أسمائه اليه •

٣ ـ الاهتمام به والتعرف على أحواله : من أدب الاسلام أن تتعرف الى أحوال أخيك ، وتسأل عن أوضاعه لعله فى حاجة الى مال أو أنه يعانى من مرض ، أو أنه متعثر فى قضاء حاجة • ثم نبادر بأداء حق الأخوة نحوه • عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتقد رجلا من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه ، فاذا كان غائبا دعا له ، وان كان شاهدا زاره ، وان كان مريضا عاده » •

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » • (رواه البخارى فى صحيحه) • ومن المؤسف أن يتلبد هذا الحس الأخوى فى نفوس المسلمين فيندر أن تجد بينهم من يتعاطف مع من يشتكى من مصاب أو مع من يعيش فى عذاب ، مع أن الحديث جعل التجاوب لمساعدة الاخوان من صفات المؤمنين ، فليسأل كل أخ منا نفسه : هل أصبح وجداننا وشعورنا من الحساسية لدرجة أن يهمنا ما يهم اخواننا ويغمنا ما يغمهم ؟ وهل شغلتنا مصيبة أخ لنا عن سرورنا وترفنا ورفاهنا ؟ وهل دفعتنا حاجة للمبادرة الى مساعدته وبذل الجهد من أجل اسعاده ؟ اذا كنا كذلك فأبشروا بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ، وان كنا غير ذلك فكيف نفسر التداعى الذى ورد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل التداعى غير الاستجابة لمساعدة الأخ والتعاون لنصرته •

٤ ـ السير فى حاجته : اذا عرفنا حاجة أخ لنا فمن أدب الأخوة أن نسارع لمساعدته والسير فى حاجته لما فى ذلك من الأجر

والمثوبة عند الله ، ومن طيب فى تقوية روابط الأخوة بين أفراد المجتمع . ففى الحديث : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . (رواه البخارى ومسلم) .

أثر عن ابن عباس رضى الله عنه أنه ترك اعتكافه وعبادته فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج يمشى فى حاجة أحد اخوانه ، لأن ثواب السير فى حاجة الأخ ، أكبر عند الله من ثواب العبادة والاعتكاف فى مسجد رسول الله ، ولما سئل عن تركه الاعتكاف والعبادة فى المسجد أجاب : سمعت صاحب هذا القبر — ودمعت عيناه — يقول : « من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها : كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد ما بين الخافقين » — رواه البيهقى . (السنة ٣٦٥ يوما × ١٠ سنين = ٣٦٥٠) .

أى أن ثواب السير فى حاجة الأخ تعادل ٣٦٥٠ ضعفا من عبادة يوم فى مسجد رسول الله والذى يكافأ فيه العابد بأن يباعد الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق ، كل خندق عرضه أبعد ما بين الخافقين .

فماذا تريد يا أخى المسلم أكثر من البعد عن النار والقرب من الجنة ؟ اذن فبادر للسير فى حاجة اخوانك لتكون من الفائزين ، ومن المؤسف أن يغفل معظم المسلمين عن هذا الخير وينتبه له الفسقة وأعداء الاسلام فيسارعون لخدمة الناس ليكسبون ودهم — ليس لارضاء الله تعالى — بل لمصالح دنيوية ، لأنه كما يقال : « الانسان عبد الاحسان » ، وكثيرا ما نرى مسلمين متدينين يثنون على فاسق أو مارق لأنه قدم لهم خدمة فى يوم ما حتى انهم يختارونه لتمثيلهم فى مجلس الأمة مجلس التشريع للمسلمين والذى يحرم أن يختار له غير الحريصين على مصلحة الاسلام والمسلمين . فأين أنتم من هذا يا مسلمون ؟

٥ ـ الانتصار للأخ : وذلك بأن نحفظه فى غيبته فلا نسمح لأحد بالتعرض اليه أو لذويه بسوء . ففى الحديث : « من رد عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقا على الله أن يعتقه من النار » (رواه أحمد) .

ـ أن ننصره اذا ظلم ونرد عنه أذى المعتدين . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقفن أحدكم موقعا يضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه » (رواه الطبرانى) .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له الحق ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » (رواه الأصبهانى)

ـ أن ننصحه ان أخطأ ونمنعه عن الظلم ان ظلم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . قال : ننصره ان كان مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : « تحجزه عن ظلمه فذلك نصره » (رواه البخارى)

أن نصلح بينه وبين اخوانه وأقاربه وأرحامه : كثيرا ما نرى بعض المسلمين يقفون موقف الحياد من أخوين اختلفا وتقاطعا ، وقد يمتد أمد القطيعة طويلا وكأن الأمر لا يعنيهم ، مع أن الواجب أن يبادوا للاصلاح بينهما فور انتهاء ثلاثة أيام على القطيعة ، أو حين علمهم بالخلاف لئلا يقع المتقاطعان فى الحرام ، اذ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام . وعليهم أن يبينوا لكل منهما ما ترتب عليه من تقصير تجاه أخيه ، وأن ينكروا على المفرط بحق أخيه استجابة لأمر الله تعالى :

﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين ﴾(١) .

(١) الحجرات : ٩

فلا حياد يا أخى المسلم أمام اختلاف المسلمين ، حفاظا على أواصر الأخوة أن تقطع وروابط المحبة أن تضعف ووحدة المسلمين أن تتصدع .

٦ ـ أن يدعو له بظهر الغيب . والدعاء للأخ دليل الوفاء وصدق الأخوة ، ففى الحديث عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » .
(رواه مسلم)

يعنى : ولك بمثل ما دعوت لأخيك من خير ، وكذلك الدعاء له بعد وفاته دعاء بظهر الغيب . قال عمر بن حديث : اذا دعا العبد لأخيه الميت أتى بها ملك قبره فقال : يا صاحب القبر الغريب ، هذه هدية من أخ لك شفيق !

نسأل الله أن يعيننا على التأدب بأدب الأخوة ، لينعم المجتمع بالمحبة والسلام (1) .

* * *

---

(1) انظر : ادب المسلم فى العادات والعبادات والمعاملات ـ محمد سعيد مبيض ـ ص ١٧٤

الفصل الأول

الأساليب القرآنية
في الحث على الأخوة الاسلامية

المبحث الأول : الحث الصريح على الاخوة فى قوله تعالى : ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ :

هذه الأخوة المتعارف عليها عند الناس لم ينكرها الاسلام ، ولكنه ارتقى بها عن معنى الأخوة القريبة الى الأخوة الانسانية ، ثم اعتبر هذا المعنى الجسدى أضعف العناصر التى تشتمل عليها معانى الأخوة الصحيحة ، ثم بصر الناس بالعناصر الأهم والأخطر ، التى تنعقد بها الأخوة المتينة الصادقة ، وهذه العناصر كلها عناصر سامية راقية ، أعمق تغلغلا فى الانسان من حدود بنائه الجسدى وروابطه المادية ، وهذه العناصر الراقية العظيمة كلها تلتقى تحت عنوان الأخوة الاسلامية .

ولدى تحليل عناصر الأخوة الايمانية تنكشف لنا العناصر التالية :

أولا : الالتقاء الفكرى على عقيدة علمية واحدة .

ثانيا : التقاء قلوب المؤمنين على عاطفة دينية واحدة ، وأهداف غائية واحدة .

ثالثا : التقاء أفراد المسلمين على سلوك فردى واجتماعى متحد أو متقارب جدا فى خطته العامة ، سواء أكان سلوك عبادة ، أو سلوك أخلاق ، أو سلوك آداب ، أو سلوك أحكام تشريعية ونظام حياة .

رابعا : التقاء جماعة المسلمين تحت قيادة واحدة ضمن أسس التعاليم الاسلامية .

ان الأخوة الايمانية القائمة على هذه العناصر أخوة متينة باقية ، وعميقة عمق الايمان فى قلوب المؤمنين .

بخلاف الأخوة القائمة على الالتقاء الجسدى البحت الخالى من عناصر الأخوة المعنوية ، فانها من غير الممكن أن تتكون منها جماعة صحيحة قوية تصمد لعوامل التمزيق ، وعوامل التفكك والخلاف ، لاسيما اذا كان بين أفرادها خلاف فكرى ، أو خلاف اعتقادى ، أو خلاف فى المصالح والغايات والأهداف ، فمن المشاهد المتكرر أن اخوان النسب يتقاتلون متى اختلفت عقائدهم ومصالحهم وأهدافهم فى الحياة ، وأن أخوة الايمان والحب فى الله يتعاملون فيما بينهم بالأخوة ، وان اختلفت مصالحهم الفردية . على أن مصالحهم الجماعية العامة مصالح واحدة يعود نفعها وخيرها على الجميع . وتدعيما للأخوة الايمانية العامة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم روابط ثنائية وثلاثية أو أكثر بين المهاجرين والأنصار بعد أن هاجر الى المدينة ، حتى بلغت حد التوارث أول الأمر ، ثم نسخ حكم التوارث هذا ، وفى هذا التآخى التدعيمى الزائد على الأخوة الايمانية العامة ، جعل الرسول صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وجعل أبا بكر وخارجة بن زيد أخوين ، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وجعل عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وجعل عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، وهكذا عقد أخوة خاصة بين أصحابه اضافة الى الأخوة الايمانية العامة ، وتدعيما لروح الرابطة الجماعية ، وتعميقا لها فى القلوب[1] .

والأخوة فى الدين أعلى مراتب الأخوة وأعظمها وأكبرها ، وهى رباط اجتماعى لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه .

حتى الرباط بين الوالد وولده ، وبين الأخ فى النسب ، وبين الزوج

---

(١) الأخلاق الاسلامية واسسها — عبد الرحمن بن حبنكه الميدانى — ج ٢ — ص ١٨٥ ، ١٨٦

وزوجته بدون توافق فى الدين يعتبر رباطا واهيـا ضعيفا اذا ما قورن برباط الدين .

ولذلك يحارب الأخ أخاه ، والولد أباه ، والزوج زوجته فى سبيل الدين ومن أجل مرضاة الله .

والمراد بالأخوة فى الدين أن يكون المسـلم عميق الايمان بربه ، سريع الاستسلام لشريعته ، قوى الصـلة بخالقه ، يحب ما أحب الله ، ويبغض ما يبغضه ، لـه سلطان على هواه ، لا يشرك به أحدا ، ولا يؤثر على مرضـاته والدا ولا ولدا . فهو بذلك عبد ربه ، وأسـير حبه ، وواقف عند حدوده ، وضارع ذليل اليه فى جميع شئونه .

ومن هنا ينطلق بنور حب الله فيحب كل عبد يحب الله ويعبده ، ويصافى كل انسان يؤمن بالله ويوحده ، ويجد فى قلب كل مسلم روضة من الايمان والاسلام تجذبه اليه وتربطه به .

فالأخوة فى الدين لا تنشأ من التكليف ، بل من التعريف ، ورباط الدين يجمع بين المؤمنين كما يجمع نور الشمس بين المبصرين ، والذى يؤمن بالله ويحبه حب المخلصين يحب من أجل الله جميع المؤمنين .

ولذلك ذكر القرآن الكريم الأخوة بين المؤمنين على أنها أمر طبيعى من مستلزمات الايمان ، ولم يأت فى القرآن أمر بالأخوة بين المؤمنين ، لأن الأمر معناه أن الايمان وحده ليس كافيا فى ايجاد رباط الأخـوة بينهم ، وليس الأمر كذلك ، قال تعالى : ﴿ **انمـا المؤمنون اخـوة** ﴾(١) .

و « انما » أداة حصر . فيكون المعنى : لا يكون المؤمن الا أخـا للمؤمن ، فان ضعفت الأخوة فمن ضعف الايمان ، كما أن قوتها من قوة الايمان . وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله اخوانا » فعلى معنى : احرصوا يا عباد الله على أخوتكم بتصفية نفوسكم وتطهير قلوبكم وقوة ايمانكم .

---

(١) الحجرات : ١٠ .

وليس معناه : أنشئوا الأخوة بينكم ، لأنها نشأت بالاتفاق فى الايمان والاسـلام •

وليس من مستلزمات الأخوة الايمانية أن تحب ذات أخيك المؤمن ، فقد لا تكون بينك وبينه مشاكلة وموافقة فى ذلك بسبب الشكل ، أو العـادات والتقاليد ، أو البيئة والتصرفات العادية ، أو غير ذلك ممـا لا يمت للدين بصـلة •

ولكن من مستلزمات الأخوة أن تحب فى أخيك المؤمن ايمانه ، وعبادته ، وطاعته لربه ، واستسلامه لخالقه ، وسلوكه فى سـبيل الله تعالى • كما أن من مستلزمات ذلك ومقتضياته أن تحب لأخيك المسـلم ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، وتؤدى ما عليك من حقوق له حسبما جاء بها الاسـلام •

ومن هنـا يتضح الفرق بين ربـاط الـدم والنسب وبين ربـاط الايمان والاسـلام ، فان ربـاط الايمان والاسـلام أقـوى وأخطر ، لأنه رباط بين العبد وربه •

ورباط الايمان حاكم على رباط الدم والنسب ومهيمن عليه •

وهو الرباط الباقى فلا يفنى ، والأبدى فلا يزول بعد أن يموت عليه صاحبه ، وهو المعبر عن كيان الانسان ومكانته عند الله فى الدنيـا والآخرة •

وهو وحده أساس السعادة والسيادة والكرامة والعزة •

وهو اشراقة النور فى قلب الانسـان ، وبدونه يكون الظـلام ومضلات الهوى • وبالايمان يتغير الفكر والسلوك وأنواع المعـاملات والتصرفات • لذلك لا عجب ولا غرابة فى قول الله تعالى :

﴿ لا تجـد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حـاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾(1) •

---

(1) المجادلة : ٢٢

والأخوة الايمانية الصادقة حين تتشبع بهـا أسرة أو مجتمع أو أمـة ، فانها تحدث انقلابا اجتماعيا عميق الأثر ، عظيم الخطر ، بعيـد المدى في آثاره ونتائجه .

ولذلك امتن الله تعـالى على المؤمنين بأن جعلهم اخوانا متحابين ، كما امتن عليهم بأن جعلهم مؤمنين مخلصين ، وقدم التفضل بالأخـوة على التفضل بالايمان ، لتعظيم فضـل الأخوة ، وأنها لا تقل عن فضل الايمان الا بمقدار ما يقل الفرع عن الأصل ، مع شدة ارتباط كل منهمـا بالآخر(١) .

* * *

(١) انظر : السلوك الاجتماعي في الاسلام ــ حسن أيوب ص ٢٩٤ــ٢٩٦

المبحث الثانى

الحث غير المباشر على الأخوة فى الله بذكر نعم الله على المسلمين المتآخين فى الله فى قوله : ﴿ فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾

الاسلام يقيم الصلة بين المسلمين على الاخاء الوثيق .. الاخاء الخالص لله عز وجل .. الاخاء الذى يغذيه الايمان ، والذى يرتبط بأهداف الدعوة الاسلامية ، هذا الاخاء هو روح الاسلام ولب مبادئه وشرائعه وقوام جماعته .

يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(1) .**

لقد كان الناس قبل الاسلام ، جماعات متنابذة وفرقا متعادية ، وأهواء متعارضة ، فكان من فضل الله عليهم أن أرسل اليهم نبى الرحمة يجمع على الايمان قلوبهم ، ويوحد على طريق الحق صفوفهم ، ويزيل من النفوس كل مسببات الشحناء ، ويطهر القلوب من كل أسباب البغضاء .. وجاهد الهادى الحبيب صلى الله عليه وسلم فى الله حق جهاده مستمدا العون من الله عز وجل .. حتى ارتفع صرح المجتمع الاسلامى ، وتماسكت لبناته على أساس من الأخوة فى الله .. فحل التفاهم والتراحم محل التخاصم والتقاطع ، وحلت المبادرة الى الخير محل المبادرة الى الشر .. وصارت الرابطة التى تجمع المسلم الى المسلم هى رابطة العقيدة وأخوة الدين ، وتحطمت حواجز الجنس أو اللغة ، لتحل محلها روابط المبادىء السامية .

---

(1) آل عمران : ١٠٣

وصـــار المسلمون فى ظـل تلك الأخوة الكريمة يلين بعضـــهم لبعض ويرحم بعضهم بعضـــا ، ويرفق قويهم بضعيفهم ، ويعين قادرهم عاجزهم ، ويألم المؤمن لألم أخيه ، ويفرح لسروره ..

صار المسلمون فى ظل الأخوة والمحبـــة دعـــاة للخير ونهـــاة عن الشر .. وتلونت عواطفهم الانسانية بالحب والبغض تبعـــا لمـــا يصيب الاسلام وأمته من خير أو شر ، وتلون سلوك المســـلم فى حيـــاته وفق ما تقضى به هذه الأخوة الايمانية الكريمة .. فهو يمنع أذاه عن اخوانه المؤمنين ، وهو يرد عنهم عاديات الزمان ، وهو يؤثرهم على نفسه عنـــد الحاجة ، وهو يعين من يحتاج الى عونه وبره .. وهو يحب أهل التقوى والصلاح ، ويكره أهل الالحـــاد ، ومن يكون حربا على دين الحـــق ولو كانوا يمتون اليه بقرابة أو دم .. والمؤمن فى ظلال الأخوة الايمانية يرشد أخـــاه اذا ضل .. ويبصره اذا وجد فيه انحرافا .. ويعينه على الخير والهدى ان وجده مستقيما على الخير والهدى .

تلكم هى الأخوة الايمانية .. انها أخوة تعتمد على ركنين عظيمين:
على رسالة مقدسة تنزلت من رب العالمين ... فهم يعيشون لها ، ويتفانون فى ســـبيلها .

وعلى أمة متساندة متعاونة للعمل بهـــا فى كل مجال من مجالات الحيـــاة .

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ..

لقد جاءت فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة للحض على الأخوة وتأكيدها واقامتها على مبادىء الدين وغاياته .. وجعل هذه الأخوة شركة روحية ومادية قائمة على الوفاء بتعاليم الاسلام، وانفاذ وصاياه ، وابلاغ هداياته ، وبتلك الأخوة الصادقة تعيش الأمـــة الاسلامية مخلصة لرسالتها ، حريصة على انجاحها ، تحيا لها ، وتحيا لها ، ولا ترضى سوى رسالتها السماوية موضوعا لا عنوانا ..

لمـــاذا ؟ لمـــاذا لا يرضى المؤمن عن منهاج غير منهاج الاســـلام ؟

ولا تتعلق نفسه الا بحب هذا الدين وانفاذ وصـايـاه ، ولزوم مبـادئه وأحكامه ؟

ذلك لأن الايمان فى الاسلام ليس كلمة تقال ، وانما هو اطمئنان القلب وعمل تظهر آثاره فى سلوك الفرد وحياة الجماعة .. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب فى الله ويبغض فى الله ، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليـه من أن يشرك بالله شـيئا »[1] .

فالمسلمون ارتبطت آمالهم وحياتهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله بالانتساب اليه ، وحب الله يقتضى اتباع أوامره سبحانه ، وتطبيق أحكامه، واجتناب ما نهى عنه ، وحب الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضى اتبـاع سنته ، والسير على منهاجه .

والحب فى الله يقتضى أن تكون العلاقة بين المسلم والمسلم قائمـة على المودة والتناصـح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والوفـاء والاخلاص فى السر والعلن .. والبغض فى الله يقتضى أن يكره المؤمن كل ما من شأنه أن يكون معاديا لكلمة الله ، ولمبادىء الحق والخير التى جاء بها الاسلام ، ولهذا كان من الخير للمؤمن .. أن يقذف فى النـار من أن يحيد عن منهاج الاسلام ، ومن أن يشرك بالله شيئا .

ان أهل الاخلاص المتحابين لله ، وفى سبيل الله يشملهم الله برحمته يوم تدنو الشمس من الرؤوس .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليـوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى »[2] .

---

(١) رواه مسلم جـ ١ ص ٤٣ ، ٦٦

(٢) انظر : مرشد الدعاة الى الله ــ أحمد بن محمد طاحون ، ص١٧٤ ومـا بعـدها .

ويقول الشهيد سيد قطب فى تفسيره « فى ظلال القرآن » :

« هناك قاعدتان متلازمتان هما : الايمان ، والأخوة ..

الايمان بالله وتقواه ومراقبته فى كل لحظة من لحظات الحيـاة ، والأخوة فى الله ، تلك التى تجعل من الجماعة المسلمة بنيـة حية قوية صامدة ، قادرة على أداء دورها العظيم فى الحياة البشرية ، وفى التاريخ الانسانى : دور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر .

﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(١) .

انهما ركيزتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة ، وتؤدى بهما دورهـا الشاق العظيم . فاذا انهارت واحدة منهما لم تكن هناك جماعة مسـلمة ، ولم يكن هنالك دور لهـا تؤديه :

ركيزة الايمان والتقوى أولا .. التقوى التى تبلغ أن توفى بحق الله الجليل .. التقوى الدائمة اليقظة التى لا تغفل ولا تفتر لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ ..

اتقوا الله ــ كما يحق له أن يتقى ــ وهى هكذا بدون تحـديد تدع القلب مجتهدا فى بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها . وكلما أوغل القلب فى هذا الطريق تكشف له آفاق ، وجدت له أشواق . وكلما اقترب بتقواه من الله ، تيقظ شوقه الى مقام أرفع مما بلغ ، والى مرتبة وراء ما ارتقى . وتطلع الى المقام الذى يستيقظ فيه قلبه فلا ينام .

﴿ ولا تموتن الا وانتم مسلمون ﴾ ..

والموت غيب لا يدرى انسـان متى يدركه . فمن أراد ألا يموت

---

(١) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣

الا مسـلما فسبيله أن يكون منذ اللحظة الأولى مسلما ، وأن يكون فى كل لحظة مسلما . وذكر الاسلام بعد التقوى يشى بمعناه الواسع : الاستسلام . الاستسلام لله ، طاعة له ، واتباعا لمنهجه ، واحتكاما الى كتابه ، وهو المعنى الذى تقرره السورة كلها فى كل موضع منها .

هذه هى الركيزة الأولى التى تقوم عليهـا الجماعة المسلمة لتحقيق وجودها وتؤدى دورها . اذ أنه بدون هـذه الركيزة يكون كل تجمع تجمعا جاهليا . ولا يكون هناك مناهج جاهلية . ولا تكون هناك قيادة راشدة فى الأرض للبشرية . انما تكون القيادة للجاهلية .

فأما الركيزة الثانية : فهى ركيزة الأخوة فى الله على منهج الله ، لتحقيق منهج الله .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾(١) .

فهى أخوة اذن تنبثق من التقوى والاسلام .. من الركيزة الأولى .. أساسها الاعتصام بحبل الله — أى عهده ونهجه ودينه — وليست مجرد تجمع على أى تصور آخر ، ولا على أى هدف آخر ، ولا بواسـطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة !

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ..

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجمـاعة المسلمة الأولى . وهى نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائما . وهو هنا يذكرهم هذه النعمة .. يذكرهم كيف كانوا فى الجاهلية « أعداء » .. وما كان أعدى من الأوس والخزرج فى المدينة أحد . وهما الحيان العربيان فى يثرب . يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العـداوة وينفخون فى نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا . ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذى لاتعمل الا فيه ، ولا تعيش الا معه . فألف الله بين

(١) آل عمران : ١٠٣

قلوب الحيين من العرب بالاسلام . وما كان الا الاسلام وحده يجمع هـذه القلوب المتنافرة . وما كان الا حبل الله الذى يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا .

وما يمكن أن يجمع القلوب الا أخوة فى الله ، تصغر الى جانبها الأحقاد التاريخية ، والثـأرات القبلية ، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية . ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال ..

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخـوانا ﴾(١) ..

ويذكركم كذلك نعمته عليهم فى انقاذهم من النار التى كانوا على وشك أن يقعوا فيها ، انقاذهم من النار بهدايتهم الى الاعتصام بحبل الله ــ الركيزة الأولى ــ وبالتأليف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانـا ــ الركيزة الثانية : **﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ﴾** .

والنص القرآنى يعمد الى مكمن المشاعر والروابط : « القلب » .. فلا يقول : فألف بينكم . انمـا ينفذ الى المكمن العميق : **﴿ فالف بين قلوبكم ﴾** فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه . كذلك يرسم النص صورة لمـا كانوا فيه . بل مشهدا حيا متحركا تتحرك معه القلوب . **﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾** .. وبينمـا حركة السقوط فى حفرة النار متوقعة ، اذا بالقلوب ترى يد الله ، وهى تدرك وتنقذ !

وحبل الله وهو يمتد ويعصم . وصورة النجاة والخلاص بعد الخطر

---

(١) آل عمران : ١٠٣

والترقب وهو مشهد متحرك حى تتبعــه القلوب واجفة خافقة ، وتكاد العيون تتملاه من وراء الأجيال .

وقد ذكر محمد بن اسحاق فى السيرة وغيره : أن هذه الآية نزلت فى شــأن الأوس والخزرج . وذلك أن رجلا من اليهــود مر بملأ من الأوس والخزرج ، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة ، فبعث رجــلا معــه ، وأمره أن يجلس بينهم ، ويذكر لهم مــا كان من حروبهم يوم « بعاث » وتلك الحروب ففعل . فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض ، وتثاوروا ونادوا بشعارهم . وطلبوا أسلحتهم . وتواعدوا الى « الحرة » ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يسكنهم ، ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » ؟ وتلا عليهم هذه الآية ، فندموا على ما كان منهم ، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح .. رضى الله عنهم .

وكذلك بين الله لهم فاهتدوا ، وحق فيهم قول الله سبحانه فى التعقيب فى الآية : **﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾(1)** .

فهذه صورة من جهد يهود لتقطيع حبل الله بين المتحابين فيه ، القائمين على منهجه ، القيادة البشرية فى طريقه .. هذه صورة من ذلك الكيــد الذى تكيده يهود دائما للجماعة المسلمة ، كلما تجمعت على منهج الله واعتصمت بحبله . وهذه ثمرة من ثمار طاعة أهل الكتاب . كادت ترد المسلمين الأولين . كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض . وتقطع بينهم حبل الله المتين ، الذى يتآخون فيه مجتمعين . وهذه صلة هذه الآية بالآيات قبلها فى هذا السياق .

على أن مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة . فهى تشــير ــ مع ما قبلها فى السياق وما بعدها ــ بأنه كانت هنــاك حركة دائبة من

---

(1) آل عمران : ١٠٣

اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم فى المدينة ، واثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل . والتحذيرات القرآنية المتوالية فى اطاعة أهل الكتاب ، ومن الاستماع الى كيدهم ودسهم ، ومن التفرق كما تفرقوا .. هذه التحذيرات تشير لشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود فى المدينة ، ومن بذرهم لبذور الشقاق والشك والبلبلة باستمرار .. وهو دأب اليهود فى كل زمان . وهو عملها اليوم وغدا فى الصف المسلم فى كل مكان »[1] .

* * *

(1) انظر : في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ط. ٨ ـ القاهرة ، جدة : دار الشروق ـ جـ ١ ص ٤٤٢ ، ٤٤٣

المبحث الثالث

الحث على التزام الاخوة الايمانية من خلال ذكر وقائع الامم السابقة

انحرفت عاد ــ قوم هود ــ عن جادة الطريق ، وكفرت بأنعم الله وأبت الاذعان لرسولها هود عليه السلام ، والايمان بدعوته . فأهلكها الله بذنوبها .. فورثت ثمود الأرض بعد عاد ، فخلفوهم فيها ، وعمروها أكثر مما عمروها ، فبنوا القصور في السهول ، ونحتوا من الجبال بيوتا ، ليأمنوا مصائب الدهر ، ونوائب الحدثان ، وكانوا يتقلبون في ترف من العيش ، وبحبوحة من الرزق والنعمة ، دون أن يحمدوا الله على فضله ، ويشكرونه على نعمه ، بل عتوا في الأرض ، وأعملوا الفساد في جنباتها ، وبعدوا عن معالم الحق ، ونفروا من مواطن الهدى ، وانحرفوا بالعقيدة ، فعبدوا غير الله من المخلوقين ، وألهوا سواه من البشر .

● **صالح مع قومه :**

بعث الله اليهم أخاهم صالحا بدين يهديهم الى عبادة الله وحده ، وينصحهم بترك ما هم عليه من عباة الأوثان ، لأنها لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ، ولا تغني عنهم من الله شيئا ، والى هذا تشير الآية الكريمة :

﴿ والى ثمود اخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾(1).

وكان أول شيء فعله صالح عليه السلام أن ذكرهم بأواصر القربى التي تربطه بهم ، فخاطبهم بلفظ : « يا قوم » لعل ذلك يلين من قلوبهم المتحجرة ، فيؤمنوا . لكن ما كاد صالح يدعوهم الى الحق حتى أصموا آذانهم ، وأنكروا عليه نبوته ، وسخروا من دعوته ، وزعموا أنها بعيدة عن الحق ، بل لاموه على صدورها منه ، وهو الذي كان موضع رجائهم

---

(1) الاعراف : 73

فى كل معضلات أمورهم ، وكان مستشارهم الأمين فيما يعرض لهم من مشكلات ، فقد كان عندهم ثاقب الفكر ، صائب الرأى ، لكنهم انقلبوا عليه فجأة حين أنكر عليهم عبادة آلهتهم التى عرفوها ، ونشأوا متمسكين بها .. ومن هنا أعلنوا أنهم لا يثقون فى دعوته ، ولا يطمئنون الى قوله ، وأنهم فى شك مما يدعوهم اليه ، وقالوا :

﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ﴾(١)

لكن صالحا أخبرهم انه يبتغى نفعهم ، ويرجو اصلاحهم وأنه لا يتطلع الى رئاسة ، فانه اذا ترك دعوتهم الى الحق بعد أن اختاره الله رسولا اليهم ، فمعنى ذلك أنه يعصى الله ، ويكتم رسالته ، ويكذب عليهم ، فمن ينصره من الله ، ويدفع عنه عقابه ، واذن فما دام هو على حق ، فانه لن يبالى بما هم عليه من شك لأنه لو حرص على مودتهم وطاوعهم ما زاده ذلك الا تعرضا لغضب الله ومقته :

﴿ قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته ، فما تزيدوننى غير تخسير ﴾(٢) .

ومن ناحية أخرى ذكرهم صالح عليه السلام بما أعطاهم الله من نعم ، وبما يتقلبون فيه من متاع ، اذ كانت ثمود تعيش فى حضارة عمرانية تالية لعاد ، وظهر فيهم أثر النعمة والتمكن فى الأرض ، والتحكم فيها(٣) فاطلقوا فى الحياة افسادا وعبثا ، واغترارا بهذا التمكين والقوة وعاشوا فيها غير آبهين بالعبرة الماثلة أمامهم فى عاد الغابرة :

﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾(٤) .

---

(١) هود : ٦٢ (٢) هود : ٦٣

(٣) انظر فى ظلال القرآن : سيد قطب ــ ج ٣ ، ص ١٥٥

(٤) الأعراف : ٧٤

ثم نقرأ ما قاله لهم صالح عليه السلام ، حين صور لهم المتاع الذى يعيشون فيه ، بعد استخلافهم الحياة بعد عاد ، وما هم ماضون فى جنبات الأرض فى غفلة ، لا يفكرون فى شكر من وهب لهم هذه النعم ، ولا يقدرون منشئها ، يقول لهم صالح : **« أتتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون »(١) .**

ونلاحظ فى هذه الآية أن صالحا يبدأ كلامه معهم بقوله : **« أتتركون فى ما ههنا آمنين »** فهو يسألهم مستنكرا : أتظنون أنكم متروكون لهذا الذى أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة .. أتتركون فى هذا كله آمنين دون أن يصيبكم ما يعكر عليكم صفو حياتكم ؟

وبعد أن يقول لهم هذه الكلمات ، ليوقظ بها قلوبهم ، وينبه بها أفكارهم ، يناديهم الى التقوى ، والى الطاعة والى عدم متابعة المفسدين الذين يميلون الى الفساد ، ولا يحبون الاصلاح ، ونلمح هذا فى قوله لهم: **« .. فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا امر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » .**

لكن هذه النداءات لا تصل الى تلك القلوب الجافية القاسية ، فلا تصغى لها ولا تلين .

***

● **آية صالح :**

ثم أراد القوم أن يتبينوا صحة دعوته — كشأن كل مرتاب فى الدعوات الصالحة متشكك فى صحتها ، فطلبوا منه أن يأتيهم بآية . وأن تكون هذه الآية ناقة عشراء يخرجها لهم من صخرة عينوها(٢) فأخذ

---

(١) الشعراء : ١٤٦ — ١٥٢

(٢) راجع تفسير سورة الشعراء بتفسير ابن كثير — ج ٣ ، ص ٣٤٤ ط . الحلبى .

صالح عليهم المواثيق والعهود أن يؤمنوا به اذا أجابهم الى طلبهم فأعطوه ميثاقهم .. ودعا صالح ربه أن يجيبهم الى طلبهم . فاستجاب الله تعالى له . وانفطرت تلك الصخرة عن ناقة عشراء على الصفة التى وصفوها . فطلب منهم صالح ــ كما أمره الله ــ أن يكون للناقة يوم تشرب فيه وترعى . وأن يكون لهم يوم تمتنع فيه الناقة عن الشرب والأكل ويحلبون هم منها ما يكفيهم شربا وريا .. وحذرهم صالح ألا يمسوها بسوء . ويقص علينا القرآن الكريم ما كان من شأن الآية يقول الله تعالى :

﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم ﴾(1) .

هكذا أبان صالح عليه السلام آية حجته على رسالته . وأن هذه الآية واضحة لا لبس فيها ولا غموض .

لكنهم بعد أن تبين لهم الصدق والحق فيما يدعو اليه . عادوا يتعجبون من نبوته وكبر عليهم أن يبعث الله بشرا منهم رسولا يدعوهم الى الهدى والحق . وقالوا ما معناه : كيف يأتيه الوحى من بيننا وهو واحد منا يعيش بيننا . لقد تجاوز صالح حد الرشد والاعتدال فى دعواه هذه :

﴿ فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذن لفى ضلال وسعر . اءلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر ﴾(2) .

* * *

● **المؤمنون برسالة صالح :**

بعد وضوح آية الناقة آمن بعض المستضعفين من قوم صالح بدعوته . وصدقوا برسالته واتبعوه .. وهذه سنة الله تعالى فى البشر . فقد مضت على أن يسبق الفقراء المستضعفون من العباد الى الاستجابة لدعوات الرسل . لأنه لا يشق عليهم أن يكونوا أتباعا لغيرهم من المصلحين . فقد يصيبهم خير من هذا الايمان والاتباع . هذا بعكس أكابر القوم الذين يثقل عليهم أن يكونوا تابعين لغيرهم . لأن ذلك سيسقطهم من منزلة الرئيس الى منزلة المرءوس وسيحد من شهواتهم .

(1) الشعراء : ١٥٥ ــ ١٥٦ (2) القمر : ٢٤ ، ٢٥

ويوقف من اسرافهم ، ثم فيه بعد ذلك زوال لدولتهم ، وذهاب لسلطانهم على الضعفاء من الناس .. على هذه السنة جرى خطاب المستكبرين من قوم صالح للمستضعفين منهم حين قالوا : **﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ ؟ (١) .**

ورد المؤمنون بصالح على المستكبرين ردا يترجم عن صدق ايمانهم ويدل على اطمئنان قلوبهم بدعوة صالح ، وأنهم أقبلوا عليها بيقين وعلم ، بعد أن ملأت عليهم شعورهم وأفكارهم : **﴿ قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ﴾(٢) .**

وطبيعي أن هذا الرد من المؤمنين بصالح الضعفاء في عددهم وحولهم ، لم يقنع الملأ الذين استكبروا ، ولم يرقهم ايمانهم بصالح وبدعوته الى وحدانية الله ، فردوا على أبناء قومهم معلنين الكفر والجحود: **﴿ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ﴾(٣) .**

* * *

● طلبهم تعجيل العذاب :

ظلت ناقة صالح بين ظهراني قومه حينا من الدهر ترد الماء وترعى وتأكل يوما . وينتفعون هم بها يوما . فلما طال عليهم الأمد تمرد المتكبرون منهم على آية الله . وتمادوا في طغيانهم . وعقروا الناقة . معرضين عن كل النذر والتحذيرات بعدم عقرها . ثم سألوه ــ في استخفاف واستهزاء ــ أن يعجل بعذابهم . وأن يأتيهم بما وعدهم ان كان مرسلا من الله بحق : **﴿ وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ﴾(٤)** وعرف صالح أنهم يستعجلون العذاب وهم جاهلون لما يقولون . غير مدركين لأهوال العذاب . فأراد ــ اشفاقا عليهم ــ أن يلقى عليهم قولا لينا رحيما لعلهم يتوبون الى رشدهم . ويرجعون عن غيهم ، فيسألوا الله الهداية لأنفسهم ويتضرعوا

---

(١) الأعراف : ٧٥
(٢) الأعراف : ٧٥
(٣) الأعراف : ٧٦
(٤) الأعراف : ٧٧

اليـه بالتـوبة والاسـتغفار ، عسى أن يرحمهـم ويتـوب عليهـم :

﴿ قال يا قوم لم تستعجلون بالسـيئة قبل الحسـنة ، لولا تسـتغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾(١) .

***

● تشـاؤم قوم صـالح منه :

لكن كلمات صالح ذهبت هبـاء ، فلم تصل الى أعماق قلوبهم ولم يستجيبوا لها . بل تمادوا فى الضلال ومضوا فى الغى ، واستسـلموا لنزوات الشر .. وكان كلما أصاب أحدهم مكروه أرجعوه الى صالح وأتباعه المؤمنين ، واعتبروهم مصدر شؤم وشر لهم . وفى هذا يقص القرآن على لسان ثمود قولهم لصالح : **﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك ﴾(٢)** فرد عليهم رسولهم صالح بما معناه : ان الله قدر عليكم ما تتشاءمون به ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون فتنة من الله لكم على ما أنتم عليه من بهتان وضلال:

﴿ قال طائركم عند الله ، بل انتم قوم تفتنون ﴾(٣) .

***

● تآمرهم عليـه :

ويئس أكابر ثمود من صالح ، وتضـايقوا من اصراره على التمسك بدينه ، وثباته على مبدئه ورأوا قوة حجته ، وعظيم منطقه ، فخشوا أن يكثر أتباعه وتنتشر دعوته ، وتزدهر مبادئه ، وعز عليهم أن يكون هو المرشـد للقوم اذا اشـتد الخطب ، فينصرفوا عنهم ، فيفقدون بذلك زعامتهم وكهنوتيتهم وينزلوا من عليائهم .. لذلك تحالفوا أن يتسللوا اليه فى جنح الظلام ويباغتوه وأهله نيام ، فيوقعوا به فى غفلة من الناس ، كمـا أجمعـوا أمرهم بينهم على أن يكون التخلص من صـالح سرا لا يذيعونه ، ولا يتناقلونه مطلقا ظنـا منهم أن قتـل صـالح وأهله سيريحهم من عنائه لهم وسيعصمهم من العذاب الذى ينتظرهم ، وقـد نزل قوله تعالى فى شأن تلك المؤامرة :

---

(١) النمل : ٤٦ (٢) النمل : ٤٧
(٣) النمل : ٤٧

﴿ وكان فى المدينة تسـعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون . قالوا تقاسـموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليـه ما شـهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ﴾(١) .

لكن الله القوى العزيز حمى صالحا من كيد أعدائه ، فأحبط مكرهم ورد اليهـم كيـدهم ، وعكس عليهم أمـرهم فقـال الله فى هـذا : **﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾(٢) .**

* * *

● **هلاك ثمود .. ونجاة صالح :**

عندما جاء قوم صالح ليلا ليقتلوه ، أنزل الله بهم عقـابه الرادع مظاهرة لنبيه ، وتصديقا لوعـده له اذ أنزل عليهم صـاعقة مدمرة . فأهلكتهم بظلمهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كما أرسل الله عليهم صـيحة من السـماء ، وأصابتهم رجفة شـديدة من أسـفل ، ففاضت أرواحهم وأصبحوا صرعى وجثثا هامدة . وفى شـأن نهايتهم المؤلمـة المفجعة نزلت الآيات بقول الله تعالى : **﴿ واخـذ الذين ظلمـوا الصـيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين . كان لم يغنـوا فيهـا ، الا ان ثمودا كفروا ربهم ، ألا بعـدا لثمود ﴾(٣) ، ﴿ فاخذتهم الرجفـة فاصـبحوا فى دارهم جاثمين ﴾(٤) ، ﴿ واما ثمود فهديناهم فاسـتحبوا العمى على الهـدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴾(٥) .**

﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾(٦).

هكذا هلك المعاندون من ثمود وطويت صفحتهم ، ولم يمنعهم من العذاب ، ما شـادوا من قصور شامخة ، ونحتـوا من بيوت آمنـة منيعة ، وما جمعوا من أموال وفيرة ، وما غرسوا من جنات واسعة .

---

(١) النمل : ٤٨ ، ٤٩ — (٢) النمل : ٥٠ .
وراجع فى هذا أيضا : الآية ٣١ من سورة القمر .
(٣) هـود : ٦٧ — ٦٨ — (٤) الأعراف : ٧٨
(٥) فصلت : ١٧ — (٦) النمل : ٥٢

ونجى الله نبيه صالحا مما أراد المعاندون به ، وأنقذه هو والذين معه من العذاب ، وفى شأنه نزل قوله تعالى :

﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾(١) . ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ، ان ربك هو القوى العزيز ﴾(٢) .

ورأى صالح عليه السلام ما حل بالسفهاء من قومه ــ عندما أصبحت جثثهم هامدة ، وديارهم خاوية ، فتولى عنهم والأسى يملأ نفسه والحسرة تقطع نياط قلبه والألم يعنصر فكره :

﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾(٣) ، (٤) .

***

---

(١) فصلت : ١٨ (٢) هود : ٦٦
(٣) الأعراف : ٧٩
(٤) انظر : الأنبياء فى القرآن ــ سعد صادق محمد ــ ص ٩٣ ، ١٠٥ بتصرف .

المبحث الرابع

المؤاخاة بين المهاجرين والانصار

قال ابن اسحاق :

« وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ، ثم أخذ بيد على ابن أبى طالب ، فقال : « هذا أخى » . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذى ليس له نظير من العباد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخوين ، واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت ، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخوين » .

قال ابن هشام :

« وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة » .

قال ابن اسحاق :

« وكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — ابن أبى قحافة ، وخارجة

ابن زهير أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج ، أخوين ، وأبو عبيدة الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين :

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ، ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف بنى زهرة ، أخوين ، وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجار ، أخوين ، وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوين ، وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب، أخو بنى النجار أخوين ، ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار ، أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ، وعمار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بنى عبد عبس ، حليف بنى عبد الأشهل ، أخوين ، ويقال ان : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر ، أخوين ، وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفارى ، والمنذر بن عمرو المعنق ليموت ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين » .

قال ابن اسحاق :

« وكان حاطب بن أبى بلتعة ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، وعويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ، وسلمان الفارسى ، وأبو الدرداء ، وعويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين .

وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو رويحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، ثم أحد الفزع ، أخوين .

فهؤلاء من سمى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل

ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضم اليه ، وضم ديوان الحبشة الى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم فى هذا اليوم بالشام .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل » .

(قال ابن هشام : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال) .

« وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم ، أو اثم أو عدوان ، أو افساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البر دون

الاثم ، وأن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا ينحجز على ثار جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، الا من ظلم ، وأن الله على أبر هذا ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وأن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة » .

(قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة).

قال ابن اسحاق :

« وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد بالمدينة آمن ، الا من ظلم أو أثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

* * *

(1) انظر : السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق : مصطفى السقا (وآخرين) جـ ٢ ص ١٤٧ وما بعدها .

الفصل الثاني

المجالات التي استخدمت فيها كلمة الأخ

المبحث الأول ــ الحث على الالتزام بعقيدة التوحيد :

مما ميز الله به الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم ، أن المؤمنين بمبدئها والعاملين بمنهجها تربط بينهم أخوة فى الدين وفى العقيدة ، وأخوة فى العمل والسلوك وأخوة فى الدعوة الى دين التوحيد والجهاد فى سبيل الله .

ومن هنا ندرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة المنورة مهاجرا اليها ليستقر فيها وليقيم الدولة الاسلامية الداعية الى الله المجاهدة فى سبيله ، كان من أبرز أعماله ومن أوائلها عملان :

١ ــ بناء المسجد .

٢ ــ والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

واذا كان المسجد جزءا لا يتجزأ من حياة المسلم ، لا تستقيم حياته الا به ، فان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت عملا لا يستطيع المسلمون أن ينطلقوا بدعوتهم وحركتهم فى البشرية الا به كذلك ، فهى الركيزة التى اندفع المسلمون ــ معتمدين عليها ــ بدينهم يبلغونه ويدعون اليه ويجاهدون فى سبيله ، متآخين متحابين فى الله يعرف كل منهم لأخيه حقوقه فيرعاها ويحافظ عليها ، فكانوا بذلك صفا واحدا وبناء قويا ثبت لزعازع الشرك والوثنية والضلال ، وتصدى لأهواء الكفر والنفاق والجمود على الباطل والتشبث بالأوهام .

ولقد كانت الاخوة الاسلامية فى الاسلام أول الأمر يمتد أثرها الى التوارث بين الأخوة فى الدين بعد الموت ، وظلت كذلك حتى تغيرت بجعل هذا التوارث بين أولى الأرحام فحسب .

ولا بد لنا أن نلقى نظرة على نص وثيقة الأخوة فى الدين كما وردت فى كل كتب السيرة كاملة وفى كثير من كتب السنة النبوية مجزأة.

وهذا هو نص الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ... أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه •

وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم •

ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن •

وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس •

وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم •

وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم •

وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا •

وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله •

وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه •

وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفســا ولا يحول دونه على مؤمن •

وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينــة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول بالعقــل ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيــام عليــه •

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليــوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل •

وأنكم مهمــا اختلفتم فيــه من شيء ، فــان مرده الى الله والى محمد ... »[1] .

وان نظرة متأملة فى هذه الوثيقة لتدلنــا على أن حقائق كبرى من حقائق هذا الدين العظيم آخذة طريقها نحو التطبيق والتنفيذ ، لتكون المجتمع المسلم الراشد المتكامل ، ومن أبرز هذه الحقائق :

١ ــ تأكيد وحدة الأمة الاسلامية وترابطها وتميزها من دون الناس بايمانها الصحيح واسلامها الواعى المستجيب ، بدا ذلك فى قوله صلوات الله عليه : « ... المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ... أمة واحدة من دون الناس » . وفى قوله : « وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على ســواء وعــدل بينهم » .

٢ ــ تميز الأمة الاسلامية عن سواها من الأمم ، بأنها تحمــل الى البشرية آخر كتاب سماوى يهديها فى دنياها وآخرتها ، وبأنها الأمة التى تحمل تبعة الدعوة ، دعوة البشرية كلها ، الى هذا الدين ، لتأكيد أنها خير أمة أخرجت للناس .

أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التميز للأمة الاسلامية فى قوله : « وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه » وأحسن الهدى هو القرآن الكريم أكمل الكتب السماوية ، وهذه الكلمة عنــدى أشبه شيء بالنذير العريان لكل من تسول له نفسه أو يزين له شيطانه من المسلمين ، أن على وجه الأرض نظاما أو منهجا يشبه المنهج الاسلامى أو يقاربه فضلا عن أن يساويه ، فضلا عن أن يلجأ اليه بعض الغــافلين من المسلمين ليستعينوا به .

٣ ــ أعلاء عنصر الايمان ورفع شــأن المؤمنين . ولقد كان مجتمع المسلمين فى الماضى ــ ولا يزال فى الحاضر ــ بحاجة الى أن يؤكد له الرسول

---

(١) السيرة النبوية ــ ابن هشام ، ج ١ ص ٥٠١ ــ القــاهرة ــ مطبعة الحلبى ، ١٣٧٥ هـ .

صلى الله عليه وسلم أن المؤمن أعلى عناصر الوجود قدرا وأرفعها ذكرا عند الله سبحانه ، فنحن كثيرا ما نؤتى من قبل احساسنا بهوان أنفسنا وهوان تاريخنا ، لذلك جاء هذا النص فى تلك الوثيقة ليعلى من شأن المؤمن وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ... وألا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن » وان ذلك الاعلاء لعنصر الايمان هو الذى يعطى المسلم اعتزازا بنفسه وبدينه ، ويمده بالمعرفة الحقيقية للكفر والكافرين كما جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾(1) .

٤ ــ تكافل المسلمين وتكاتفهم فى الحرب ، وذلك فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم » والمفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، فهذا يرعاه اخوانه المسلمون ولا يتركونه لدين يفدحه ولا لنفقه عيال تعجزه ، هنا واجب المسلم نحو أخيه المسلم فى السلم والأمن ، فاذا كانت حرب وجهاد فى سبيل الله فان المسلمين يتكافلون فيما بينهم ويخفف بعضهم على بعض ما أصابهم من مغارم الحرب وتبعات الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، نفهم ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله » .

٥ ــ اقرار المساواة بين المسلمين وتكافؤهم فى المكانة والكرامة والحقوق السياسية ، يتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » ومهما قال القائلون من أصحاب النظريات والنظم المتشدقين بالمساواة والعدالة ، فلن يصلوا الى أدنى ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « ويجير عليهم أدناهم » فأقل المسلمين مالا أو جاها أو قوة كأكبر المسلمين مالا وجاها وقوة يجير عليه فلا يرد اجارته .

٦ ــ التأكيد على أن الأمة الاسلامية أمة تدعو الى الحق وتعمل به

---

(1) الانفال : ٥٥

أبـدا وأنها أمة مطالبة بأن تزيل من طريق الحق كل عائق يعترضه ، وهذه العوائق وتلك الاعتراضات قد تكون أشخاصا وقـد تكون مبـادىء ونظريات ، وقد تكون ، وقد تكون ، والأمة المسلمة مطالبة أبدا بـأن تكون أبـدا مع الحق وضـد الباطل ولو تمثل هذا الباطل فى واحـد منهم ، يتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثما أو عـدوانا فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » .

وبعد .. فتلك هى وثيقة المؤاخاة بين المسلمين وهى من أوائل أعمال الرســول صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر فى المدينة ، وليست هذه الأولية الا دليلا على أن الأخوة فى الدين ضرورة من ضرورات الايمان وضرورة من ضرورات العمل فى الدعوة الى الله سبحانه والتحرك بدينه فى الناس .

وأن الأحاديث النبوية الواردة فى الأخوة فى الدين كثيرة نقتصر منها على الأحاديث التالية :

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[1]

وروى البخارى بسنده عن عروة أن النبى صلى الله عليه وســلم خطب عائشة الى أبى بكر فقال : انما أنا أخوك ، فقال صلى الله عليه وسلم: « أنت أخى فى دين الله وفى كتابه ، وهى لى حلال »[2] .

وروى البخارى بسنده عن سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٥٧ ، ٨٣ ، صحيح مسـلم جـ ٤ ص ١٩٨٦ ، ٢٥٦٤

(٢) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧

فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[1] .

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[2] .

وروى ابن ماجه بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمسلم على المسلم ستة بالمعروف : يسلم عليه اذا لقيه ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس ، ويعوده اذا مرض ، ويتبع جنازته اذا مات ، ويحب له ما يحب لنفسه »[3] .

وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قال : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ، قال : « تأخذ فوق يديه »[4] .

ولو ذهبنا نستقصى الأحاديث الواردة فى الأخوة فى الدين لما وسعتنا هذه الصفحات .

غير أن الذى نحب أن نؤكده أن هذه الأخوة فى الدين وما تستوجبه من حقوق للأخ على أخيه ، مما تميز به الاسلام على غيره من الأديان ومن النظم والنظريات حتى ان بعض العلماء يرون أن هذه المؤاخاة مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر الرسل عليهم السلام .

---

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٦٨ ، ٢٤٤٢

(٢) رواه الترمذى ج ٥ ص ٣٣

(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٦١

(٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٦٨ ، ٢٤٤٣

وما قرأنا ولا سمعنا عن تآخ على نفس مستوى الأخوة التى طالب بها الاسلام أتباعه — من لدن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يوم يقوم الناس لرب العالمين — بين المؤمنين بدين من الأديان المعروفة التى سبقت ظهور الاســلام ، فلم يحدثنا القرآن الكريم عن تآخ بين اليهود ولا تآخ بين النصارى ، على نفس المستوى الذى أشرنا اليه ، ولا رأينا نحن ذلك فى توراتهم أو انجيلهم التى بأيديهم اليوم ، على الرغم من التشويهات والتحريفات والتغييرات التى أدخلت عليهما .

وكذلك الأمر فى النظم والنظريات القديمة منها والحديث ، بل رأينا فى تلك النظم والنظريات والمذاهب ما يقضى على هذه الأخوة من تسلط للحاكم على المحكوم ، وظلم من الكبير للصـغير ، واسـتعباد من الغنى للفقير ، وليست الطبقية والعنصرية وتفاضل الناس بالجنس واللون والمال والجاه — كما رأينا ذلك فى الأديان الأخرى وفى النظم والنظريات — الا نارا تحرق حبال الأخوة بين النـاس ، وتثير فى النفوس الأحقاد والتعادى والتباغض والتدابر [1] .

* * *

(١) انظر : مع العقيدة والحركة والمنهج فى : خير أمة اخرجت للناس — على عبد الحليم محمود ص ٦٩ — ٧٦

المبحث الثانى

مجال الحث على التسامح والتمسك بالفضائل

ان الاسلام دين يدعو الى التسامح ، والعفو والصفح عند المقدرة . وان من يتسامح فى حقه ويعفو ويصفح عن المسىء اليه يكون نبيل الخلق، عظيم النفس ، متساميا عن الدنايا . انظر الى قوله جل شأنه :

﴿ ادفع بالتى هى احسن السيئة ، نحن اعلم بما يصفون ﴾(١) .

وقوله تعالى : **﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ﴾(٢) .**

فالاسلام يقول : ان أساء اليك رجل فاعف عنه واصفح ، وقابل السيئة بالحسنة . وان ذمك أحد فامدحه ولا تذمه ، وبذلك يصير كأنه صديق قريب اليك ، معتن بأمرك ، مهتم بشأنك . ولا تتاح هذه الخلة الثمينة ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وقوة العزيمة وثبات القلب ، وكان له نصيب موفور من سعادة الحظ ، وكرم الخلق . فنحن مطالبون بأن نقابل الاساءة بالاحسان ، والذنب بالصفح والغفران ، والغضب بالحلم[٣] .

وتتفاوت درجات الناس فى الثبات أمام المثيرات ، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل ، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره وسجاحة خلقه .

---

(١) المؤمنون : ٩٦ (٢) فصلت : ٣٤ ، ٣٥

(٣) انظر : روح الاسلام ــ محمد عطية الابراشى ص ١٢٣

ومع أن للطباع الأصيلة فى النفس دخلا كبيرا فى أنصبة النـــاس من الحدة والهدوء ، والعجلة والأناة ، والكدر والنقاء ، الا أننا هنـــاك ارتباطا مؤكدا بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين وتجاوزه عن خطئهم ، فالرجل العظيم حقا كلما حلق فى آفاق الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم ، والتمس المبررات لأغلاطهم ، فاذا عـــدا عليه غر يريد تجريحه ، نظر اليه من قمته كما ينظر الفيلسوف الى صبيان يعبثون فى الطريق وقد يرمونه بالأحجار .

وقد رأينا الغضب يشتط بأصحابه الى حد الجنون ، عندما تقتحم عليهم نفوسهم ، ويرون أنهم حقروا تحقيرا لا يعالجه الا سفك الدم . أفلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائل يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد ؟ كلا . ان الاهانات تسقط على قاذفها قبل أن تصل الى مرماها البعيد .

وهذا المعنى يفسر لنـــا حلم هود وهو يستمع الى اجابة قومه بعـــد ما دعاهم الى توحيد الله :

قالوا : **« انـــا لنراك فى ســـفاهة وانـــا لنظنك من الكـــاذبين . قـــال يا قوم ليس بى ســـفاهة ولكنى رسول من رب العـــالمين . ابلغكم رســـالات ربى وانـــا لكم ناصح امين »(1) .**

ان شتائم هؤلاء الجهال لم يطش لها حلم هود ، لأن الشقة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رســـولا فهو فى الذؤابة من الخير والبر ، وبين قوم ســـفهوا أنفســـهم وتهاووا على عبادة الأحجار يحســـبونها — لغبائهم — تضر وتنفع !

كيف يضيق المعلم الكبير بهرف هذه القطعان ؟

وقد أراد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس ، فروى أن أعرابيا جاء يطلب منه شيئا ،

---

(1) الأعراف : ٦٦ — ٦٨

فأعطاه ثم قال له : « أحسنت اليك » ؟ قال الأعرابى : لا ، ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا اليه ، فأشار اليهم أن كفوا .. ثم قام ودخل منزله ، فأرسل اليه وزاده شيئا ، ثم قال له : « أحسنت اليك » ؟؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انك قلت ما قلت آنفا ، وفى نفس أصحابى من ذلك شىء ، فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك » !! قال : نعم ، فلما كان الغد جاء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضى ، أكذلك »؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا . فناداهم صاحبها ، فقال لهم : خلوا بينى وبين ناقتى . فانى أرفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض ، فردها حتى جاءت ! واستناخت وشد عليها رحلها ، واستوى عليها . وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قاله ، فقتلتموه ، دخل النار » .

ان الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر ، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة فى التعبير والاسراع بالشر ، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم ، ولما كانت ظلماء

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة الى هذا الختام الأليم ، انهم يفيضون من أناتهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم الى الخير الجاء . ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء .

وثمن ذلك لا يضن به الواحد الأريب ، ولو كان عطاء سخيا ، فما بذل المال الى جانب ملك الأنفس ؟

ان الأعرابى الذى اشترى رضاه بما علمت لا يبعد أن تراه بعد أيام وقد كلف بعمل خطير ، يقدم فيه عنقه عن طيب خاطر .. وما المال

فى أيدى المصلحين الكبراء الا حاجة العفاة من الوافدين الطامعين ، أو هو قمام الأرض تستناخ به الرواحل الجامحة . لتقطع عليها المفازات الشاسعة .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستغضب أحيانا غير أنه ما يجاوز حدود التكرم والاغضاء . والمحفوظ من سيرته أنه ما انتقم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها . ولما قال له أعرابى جلف وهو يقسم الغنائم : اعدل ، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، لم يزد فى جوابه على أن بين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال : « ويحك .. فمن يعدل إن لم أعدل ؟ خبت وخسرت ان لم أعدل » . ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك .

خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم : « ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى :

« ألا وان منهم البطىء الغضب سريع الفىء . والسريع الغضب سريع الفىء ، والبطىء الغضب بطىء الفىء ، فتلك بتلك . ألا وان منهم بطىء الفىء سريع الغضب .

« ألا وخيرهم بطىء الغضب سريع الفىء ، وشرهم سريع الغضب بطىء الفىء ، ألا وإن منهم حسن القضاء ، فتلك بتلك .

« ألا وان منهم سىء القضاء سىء الطلب . ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ، وشرهم سىء القضاء سىء الطلب .

« ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض » [1] .

أى فليبق مكانه وليجلس .

فاذا استطير وراء لهب الغيظ أفسد الأمور فى غيبة وعيه وغلبة عاطفته فلم يدع لاصلاحها مكانا .

---

(1) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٩

وقد شرح الحديث الشريف صنوف الخلق ومنازلهم فى الفضل ، والمؤمن يضع نفسه حيث يجب .

ان الشخص الغضوب كثيرا ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء ، فقد يسب البـاب اذا استعصى عليه فتحه ، وقد يكسر آلة تضطرب فى يده ، وقد يلعن دابة جمحت بـه .

وحدث أن رجلا نازعته الريح رداءه فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنها فانها مأمورة مسخرة . وانه من لعن شـيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه »[1] .

وسيئات الغضب كثيرة ونتائجه الوخيمة أكثر ، ولذلك كان ضبط النفس عند سوراته دليل قدرة محمودة وتماسك كريم .

عن ابن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الصرعة فيكم »؟قالوا : الذى لا تصرعه الرجال.قال:« ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب »[2] .

وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى ولا تكثر على لعلى لا أنسى . قال : « لا تغضب »[3] وهذه الاجابة المقتضبة خير ما يرد به على سؤال يصاغ فى هـذه العبارة .

وقد كان صلى الله عليه وسـلم ينصح من جاءوه مسترشدين بما يلائم طباعهم ويوافق بيئتهم ، وقد يوجز أو يطنب وفق ما تقضى بـه الأحوال .

والجاهلية التى عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم محوها كانت تقوم على ضربين من الجهالة ، جهالة ضد العلم وأخرى ضد الحـلم ، فأما الأولى فتقطيع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون الارشاد ، وأما الأخرى

---

(١) انظر : سنن ابو داود جـ ٥ ص ٢١٢ ، ٤٩٠٨
(٢) مسند الامام أحمد جـ ١ ص ٣٨٢
(٣) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٦ ، ٩٤

فكف ظلمها يعتمد على كبح الهوى ومنع الفساد . وقد كان العرب الأولون يفخرون بأنهم يلقون الجهل بجهل أشد :

ألا لا يجهلن أحـد علينـا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فجاء الاسلام يكفكف من هذا النزوان ويقيم أركان المجتمع على الفضـل ، فان تعذر فالعدل . ولن تتحقق هـذه الغاية الا اذا هيمن العقل الراشد على غريزة الغضب .

وكثير من النصائح التى أسداها الرسول صلى الله عليه وسلم للعرب كانت تتجه الى هذا الهدف حتى اعتبرت مظاهر الطيش والتعدى انفلاتا من الاسـلام ، وانطلاقا من القيود التى ربط بهـا الجماعة فلا تميد وتضطرب : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[1] .

وقال عبد الله بن مسعود : « ما من مسلمين الا وبينهما ستر من الله عز وجل ، فاذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله »[2]

ووفد أعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يتعلم الاسلام، ولم تكن له معرفة سابقة بالنبى صلى الله عليه وسلم . ولا بما يدعو اليه قال الأعرابى — واسمه جابر بن سليم — : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شـيئا الا صدروا عنه ، قلت : من هـذا ؟ قالوا : رسول الله . قلت : عليك السلام يارسول الله . قال : « لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الميت . قل : السلام عليك » ! قال : قلت : أنت رسول الله ؟ قال : « أنا رسول الله الذى اذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك . وان أصابك عام سنة (جدب) فدعوته أنبتها لك ، واذا كنت بأرض قفر فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك » .

قال : قلت : أعهد الى . قال: «لا تسبن أحدا» — فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة — قال : « ولا تحقرن شيئا من المعروف .

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٨١ ، ٨٤

(٢) السنن الكبرى — البيهقى جـ ٧ ص ٩٩

وأن تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ، ان ذلك من المعروف » ... ثم قال : « وان امروء شتمك وعيرك بما يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه . فانما وبال ذلك عليه »[1] .

ومن الناس من لا يسكت عنه الغضب ، فهو فى ثورة دائمة ، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس . اذا مسه أحد ارتعش كالمحموم ، وأنشأ يرغى ويزبد ويلعن ويطعن . والاسلام برىء من هذه الخلال الكدرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء »[2] .

واللعن من خصال السفلة ، والذين يستنزلون اللعنات على غيرهم لأتفه الأسباب يتعرضون لبلاء جسيم ، بل ان المرء يجب أن يتنزه عن لعن غيره ، ولو أصابه منه الأذى الشديد .

وكلما ربا الايمان فى القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم ، ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين فى حقه .

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله على المشركين والعنهم ! فقال : « انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا »[3] وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه ، ويكظم غيظه ، ويملك قوله ، ويتجاوز عن الهفوات ، ويرثى للعثرات ، تكون منزلته عند الله .

ومن ثم استنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر أن يلعن بعض رقيقه وقال : « لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا »[4] .

وفى رواية : « لا يجتمع أن تكونوا لعانين وصديقين »[5] فأعتق أبو بكر أولئك الرقيق كفارة عما بدر منه لهم ، وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : لا أعود !

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٢٦ ، ٢٦٢٦
(٢) الترمذى ج ٦ ص ١٩٩ ، ١٩٧٨
(٣) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٥ ص ٤٣٧
(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٠٥ ، ٢٥٩٧
(٥) المستدرك على الصحيحين — الحاكم ج ١ ص ٤٧

ذلك أن اللعن قذيفة طائشـــة خطرة ، يدفع اليها الغضب الأعمى أكثر مما يدفع اليها اســـتحقاق العقاب ، واستهانة الناس بهذه الدعوات الشداد لا تليق . لأنه لا يفلت من وبالها أحد .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء ، فتغلق أبواب السماء دونها . ثم تهبط الأرض فتغلق أبوابها . ثم تأخذ يمينا وشمالا . فان لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ، فاذا كان أهلا ... والا رجعت الى قائلها »[1] .

وقد حرم الاسلام المهاترات السفيهة وتبادل السباب بين المتخاصمين.

وكم من معارك تبتذل فيها الأعراض وتعدو فيها الشتائم المحرمة على الحرمات العزيزة ، وليس لهذه الآثام الغليظة من علة الا تسلط الغضب وضياع الأدب . وأوزار هذه المعارك الوضيعة تعود على الموقد الأول لجمرتها . كما جاء فى الحديث : « المستبان ما قالا ، فعلى البادىء منهما حتى يعتدى المظلوم »[2] .

وملاك النجاة من هـــذه المنازعات الحادة تغليب الحلم على الغضب ، وتغليب العفو على العقاب . ولا شك أن الانسان يحزنه أى تهجم على شخصه أو على من يحب ، واذا واتته أسباب الثأر سارع الى مجازاة الســـيئة بمثلها . ولا يقر له قرار الا اذا أدخل من الضـــيق على غريمة بقدر ما شعر به هو نفسه من ألم .

ولكن هناك مسلكا أنبل من ذلك وأرضى لله . وأدل على العظمة والمروءة . أن يبتلع غضبه فلا يتفجر ، وأن يقبض يده فلا يقتص ، وأن يجعـــل عفـــوه عن المسىء نوعـــا من شـــكر الله الـــذى أقدره على أن يأخـــذ بحقـــه اذا شـــاء . عن ابن عبـــاس قـــال : لمـــا قـــدم عيينة بن حصن نزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين

---

(١) أبو داود جـ ٥ ص ٢١٠ ، ٤٩٠٥ .
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٠ ، ٢٥٨٧

يدنيهم عمر ، اذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين عمر ومشاورته ، كهولا كانوا أو شـبابا .

فقال عيينة : يابن أخى ، استأذن لى على أمير المؤمنين ، فاستأذن له فلما دخل قال : هيه يابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به .

فقال الحر : يا أمير المؤمنين ، ان الله يقول لنبيه : ﴿ **خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾ وان هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه . وكان وقافا عند كتاب الله »(1) .

وانما غضب عمر لتطاول الأعرابى عليه وهم بردعه . لأنه لم يدخل عليه ناصحا بخير أو طالبا لحق ، وانما دخل على حاكم فى سلطانه ليشتمه دون مبرر وليسأله عطاء جزلا على غير عمل !! فلما ذكر بأن الرجل من الجهال أعرض عنه وتركه ينصرف سالمـا .

وفى الحديث : « من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء »(2) .

وعن عبادة بن الصامت : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « **تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك** »(3) .

وقد عد القرآن الكريم هـذه الشمائل الرقيقة طريق الفلاح التى تسرع بصاحبها الى الجنات العلا :

﴿ **وسـارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(4) .

(1) صحيح البخارى ـ والآية من سورة الأعراف : 199
(2) أبو داود جـ 5 ص 137 ، 4777
(3) مسند احمد بن حنبل جـ 3 ص 225
(4) آل عمران : 133 ، 134

ومن قصص العفو التى لا مثيل لها بين الناس ، عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبى . فان عبد الله هـذا كان عدوا لدودا للمسلمين يتربص بهم الدوائر ، ويحالف عليهم الشيطان ، ويحيك لهم المؤمرات ولا يجد فرصـة للطعن عليهم والنيـل من نبيهم الا انتهزها . وهو الذى أشاع قالة السوء على أم المؤمنين عائشـة ، وجعل المرجفين يتهامسون بالافك حولها ، ويهزون أركان المجتمع الاسلامى هزا بهذا الاتهام الدنىء ، وتقاليد الشرق من قديم تجعل عرض المرأة فى الذروة من القداسـة ، وتربط به كرامتها وكرامة أهلها الأبعدين والأقربين .

وكذلك كان حز الألم قاسيا فى نفس الرسول وأصحابه ، وكانت الغضاضة من هذا التلفيق الجرىء تملأ نفوسهم كآبة وغما . حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين ، وتفضح ما اجترحوا ، وتنوه بطهر أم المؤمنين ونقاء صفحتها :

﴿ ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عـذاب عظيم ﴾(١) .

ولقد أقيم الحد على من كانوا مخالب القط فى هذه المـأساة ، أما جرثومة الشر فانه نجا ... ليستأنف كيده للمسلمين وسوق الأذى لهم ما استطاع .

وكتب الله الفوز لرسوله وجنده واكتسح الاسلام مخلفات القرون المخرفة ، وانحصر أعداؤه فى حدود أنفسهم ، بل لقد دخلت عليهم من أقطارها وانكمش ابن أبى ثم مرض ومات . بعد ما ملأت رائحة نفاقه كل فج . وجاء ولده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه الصفح عن أبيه فصفح . ثم طلب منه أن يكفن فى قميصه فمنحه اياه . ثم طلب

(١) النـور : ١١

منه أن يصلى عليه ويستغفر له ، فلم يرد له الرسول الرقيق العفو هـذا السؤال ، بل وقف أمام جثمان الطاعن فى عرضه بالأمس يستدر له المغفرة.

لكن العـدالة العليـا حسمت الأمر كـله فنزل قوله تعـالى :

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾(١).

ومما يتصل بحادثة الافك : أن قريبا لأبى بكر كان يعيش على احسانه لم يتورع عن الخبط فى عرض السيدة التى يكفله أبوها ، فنسى بذلك حق الاسلام وحق القرابة وحق الصنيع القديم . مما أحفظ أبا بكر وجعله يحلف أن يترك قريبه هـذا ، ولا يصله كما كان يصله .

فنزل قوله تعالى : **﴿ ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، الا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم ﴾(٢)** .

فعاد أبو بكر بعطائه الأول قائلا : انى أحب أن يغفر الله لى(٣) .

* * *

(١) التوبة : ٨٠ (٢) النـور : ٢٢
(٣) انظر : خلق المسلم ـ محمد الغزالى ، ص ١٠٦ ـ ١١٤

المبحث الثالث

الحث على التخلى عن الرذائل

يبحث علم الأخلاق عن معنى الخير والشر ، ويبين ما ينبغى أن تكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضا ، ويشرح الغاية التى ينبغى أن يقصدوا اليها فى أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغى •

ولا شك أن الأخلاق هى الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ، ولهذا نرى الباحثين قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه ، وللمجتمع فى جملته ، فكما أن الفرد يضيره ويفسد من أعماله أن يكون كاذبا مرائيا حسودا شريرا ماكرا ، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع هذه الصفات فى آحادها •

من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء الحث على الأخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشددا على الاستمساك بها ، لأنها هى التى تحقق الفوز بالنعيم الأخروى • وإن الفضائل التى أمر بها القرآن هى الفضائل الانسانية الحقة التى أجمع الفلاسفة ودعاة الاصلاح فى العالم على المناداة بها ، والتى لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب •

والرذائل التى نهى عنها القرآن هى سبب الخصام والعداوة بين الناس وهى التى لا يشك فى ضررها أى مخلص يبتغى الخير للانسانية •

١ – الانقياد لهوى النفس :

تجتاح الانسان فى معترك هذه الحياة تيارات شتى من الرغبات والشهوات يؤثر فيها مصلحته الخاصة ولو كان فيها اضرار بالغير ، ولا يهمه أن تكون أعماله سيئة ما دامت تشبع رغباته وأهواءه •

وان أهم أهداف الاسلام مجابهة أهواء الانســـان والحيلولة بينه وبين الانقيــاد لها ، اذ أن هوى النفس يشوش نظام ميول الانســـان الطبيعية ، وان للميول فى الحالة الطبيعية نظاما خاصا ، وترتيبا متسقا يقتضيان الاعتدال والتوازن ، ولكن اذا وقع الانسان فى حبال الهوى تشوش عليه هـــذا النظام الطبيعى وفسد ، واتجهت قواه الى غاية واحدة مطلقة فيختــل بذلك توازن الميول واتســاقها الطبيعى وينفرد واحـــد من هـــذه الميـــول بالزعـــامة فيســـخر جميـــع النزعات الأخرى اليه ، ولهـــذا نـــرى القرآن وصف الهـــوى بأنـــه مفســـد للنظـــام الطبيعى لهـــذه الحيـــاة الذى يجب أن يســـود فيـــه الحق . قال الله تعـــالى :

﴿ ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾(١) .

وان أعظم أضرار هـــوى النفس هو ما يجىء عن طريق الحكام الذين من واجبهم اقامة العـــدل فى الأرض ، فانهم ان انقادوا لأهوائهم فحابوا الأقوياء وجاروا على الضعفاء يكن من أثر ذلك فساد فى الأرض لا يلبث أن تظهر بوادره بثورات تورث الخراب كما حصل فى كثير من أدوار التاريخ ، ولهذا جاء فى القرآن تعليما لنا بما خاطب الله نبيه داود :

﴿ يا داود انـــا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحـــق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شـــديد بما نسوا يوم الحساب ﴾(٢) .

وان اتباع هوى النفس يصرفنا عن حقائق هـــذه الحياة ، ويرى أبو الفلســـفة الحديثة « فرنسيس بيكون » وهو من فلاســـفة القرن السادس عشر أنه للوصول للحق يجب التخلص من أربعة أوهام تســـد علينا ســـبل الحقيقة ومنها ــ بل وأهمها ــ أوهام الجنس ، هذه الأوهام تدخل فيها الأخطاء التى انطبع عليها العقل تقليدا لمن تقدموه حتى ليهون على المرء أن يعادى الحق ويرفضه من أن يترك عقيدة أو رأيا رسخ فى

---

(١) المؤمنون : ٧١ (٢) سورة ص : ٢٦

ذهنه بفعل الزمن والوراثة • لهذا نرى القرآن عندما حاجج اليهود وأمرهم باتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء بها من الحق ، بين بأن عدم استجابتهم لدعوة الاسلام انما هى بسبب أهواء نفوسهم التى تؤثر القديم ولما انطبعوا عليه من التقليد الأعمى لمن سبقوهم •

قال الله تعالى : **﴿ فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾(١)** •

والحق أن أكثر أسباب اتباع الهوى فى هذه الحياة هو بسبب ضعف فى النفس ونقص فى المعرفة ، فالهوى يملك على الانسان عقله فلا يدرك ولا يتذكر ولا يفكر كغيره من الناس بل تحوم نفسه كلها حول نقطة واحدة • وحب الانسان للشيء يقوى انتباهه اليه فلا يفكر الا فيه ، ولهذا كان منطق الهوى مختلفا جدا عن منطق العقل ، فالمقدمات فى منطق العقل تولد النتائج ، ولكنها فى منطق العواطف تتولد منها • ولهذا وصف القرآن أثر الهوى فى الانسان بأنه يضله بغير علم • قال الله تعالى :

﴿ وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ﴾(٢) •

﴿ بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم ﴾(٣) •

والقرآن يصف العلاج للقضاء على هوى النفس وذلك بالتوجه الكلى الى الله والامتناع عن مخالفة أمره • قال الله تعالى :

﴿ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى ﴾(٤) •

هذه المراقبة لله مع جهاد النفس كفيلة بأن لا نخرج عن طريق الحق ولا نرتاد سبل الضلال ، وخصوصا اذا كان هذا الجهاد النفسى فى جو دينى تدفعه الرغبة فى نيل ثواب الله العظيم •

* * *

---

(١) القصص : ٥٠
(٢) الأنعام : ١١٩
(٣) الروم : ٢٩
(٤) النازعات : ٤٠ ، ٤١

٢ ـ الكبرياء :

الكبرياء رذيلة من الرذائل الاجتماعية ، تغرس الفرقة والعـــداوة بين الأفراد فتقضى على التعاون والمحبة بينهم ٠

والكبرياء لا تصرفنا عن محبـــة بعضنا البعض فقط ، بل وتجعل اصلاحنا الأدبى عسيرا وذلك بتعامى المتكبر عن نقائصه وعيوبه ، وتقدير نفسه فوق قدرها ، وصم أذنيه عن ســـماع كل حديث يرفع من حاله سوى حديث المدح والتملق من مادحيه ، لأن من أعجبته نفسه أبى أن يســـمع النصحية من غيره فيكون ذلك حائلا بينه وبين الاســـتفادة من علم العلمـــاء واقتباس الفضـــيلة من الفضـــلاء فينزل الى هـــوة من الجهل والضـــلال ٠

لهـــذا كان من ســـنة الله أن صرف قلوب المتكبرين عن ســـماع ما أنزله على رســـله من البينات والهدى لأن هؤلاء المتكبرين كتب الله عليهم الضـــلالة التى تؤدى بهم الى غضبه وذلك من جراء كبريائهم ٠ قال تعـــالى :

﴿ ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشـــد لا يتخذوه ســـبيلا وان يروا ســـبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾(١) ٠

والقرآن يخبرنا أن المستكبرين كانوا أعصى الناس على الاستجابة لدعوة الرسل لهذا حكى الله عن قوم نبيه صالح :

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ، قالوا انـــا بما ارســـل به مؤمنون ٠ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون ﴾(٢) ٠

وهؤلاء قوم عاد استكبروا عن ســـماع هداية الله فكان جزاؤهم العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة : **﴿ فاما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير**

(١) الأعراف : ١٤٦

(٢) الاعراف : ٧٥ ، ٧٦

الحق وقالوا من اشد منا قوة ، او لم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشـد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجحدون . فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عـذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة اخزى ، وهم لا ينصرون ﴾(١) .

﴿ اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾(٢) .

أى أليست النار كافية لهم سجنا وموئلا بسبب تكبرهم !

ولنتساءل بماذا يفتخر المتكبر ؟ هل بملاحته وقوته ؟ ان الجمال يزول ، وأقل مرض يضعضعه ، وكل يوم يفعل الزمان فعله بجسده الى أن يصبح بعد سن الشباب موضع الضعف والهرم ، وان تباهى بماله وغناه فليعلمن أن الموت لا يفرق بين الغنى والفقير ، وأن الانسان سيترك كل ما يملك الى غيره . لهـذا جاءت وصايا القرآن تنهى عن الاختيال ، قال تعالى :

﴿ ولا تمش فى الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طـولا ﴾(٣) .

أى لا تمش متبخترا كمشى الجبـارين فانـك لن تخرق الأرض بمشيك وشدة وطئك ، ومهما شمخت بأنفك فلن تبلغ الجبال ارتفاعا .

ويقول تعـالى فى النهى عن التكبر : **﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾(٤) .**

أى لا تعرض عنهم بوجهـك اذا كلمتهم أو كلمـوك احتقـارا لهم واستكبارا . هذا هو التكبر الذى كرهه الله لأنه من الصفات الذميمة التى تفسد المجتمع الانسانى ، وتورث البغضاء ، فمـا أحرى بالمربين والمصلحين أن يحاربوه ويبينوا شروره ليحصل المجتمع على المحبة التى هى عمـاد المجتمع .

* * *

---

(١) فصلت : ١٥ ، ١٦ — (٢) الزمر : ٦٠

(٣) الاسراء : ٣٧ — (٤) لقمـان : ١٨

٣ ـ الخمر والقمار :

قال الله تعالى فى تحريم الخمر والقمار :

﴿ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ﴾(١) •

اشتملت هاتان الآيتان على مواعظ جليلة :

فقد سمى الله الخمر والقمار رجسا من عمل الشيطان ، والرجس يدل على منتهى ما يكون من القبح والخبث ، وذلك لما ينشأ عنهما من الشرور والفساد • وجعل الله اجتنابهما سببا للفلاح فى هذه الدنيا ، فدل بطريق المقابلة على أن ارتكابهما أساس الخسران فى الدنيا والآخرة وجعلهما سبحانه مثارا للعداوة والبغضاء وهما شر المفاسد الدنيوية •

وأخيرا جعلهما صادين عن ذكر الله وعن الصلاة وهما عماد الدين ، وفيما يلى بيان عن ذلك مع عرض أضرار كل من الخمر والقمار على حدة :

● مضار الخمر :

مضار الخمر كثيرة لا تحصى : فهى تؤدى بالشارب الى اضعاف صوت ضميره وذهاب حيائه ، ولا شيء يضر بالمجتمع الانسانى أكثر من اضعاف صوت الضمير أو ذهاب الحياء من الانسان ، فان ذلك يدفع بالشارب الى نبذ الأخلاق وفعل كل منكر قبيح ، وان كثيرا من حوادث الزنا والخيانة الزوجية تقع تحت سلطان الخمر مما يؤدى الى خراب البيوت والندم العميق ، كما أن الواقع الملموس أثبت أن كثيرا من حوادث الشغب وما تؤدى اليه من ارتكاب الجرائم تحدث فى مواطن شرب الخمر من الحانات وغيرها •

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١

وقد يدافع البعض عن الخمر فيقول : ان الآلام النفسية اشتدت والمحن قد كثرت ، ولا دواء لهـا الا الخمر .

والجواب على ذلك : ان المحن النفسية لا يقضى عليها بالخمر ، بل بتقوية الوجدان الخلقى وتربية الناس على ضبط النفس والصبر الجميل والعزاء الروحى ، أما اذا تألمت النفس فأخذ المتألم الكأس ليخفف الألم ويضعف صوت الضمير فانه يستبدل بألمه داء أشـد شرا ، وان ألمـه لا يلبث أن يعاوده بعد ذهاب أثر الخمر ، فيجعل الانسان ضعيفا لا يملك زمام نفسه ، مما يؤدى به الى الانهيار العصبى أو ادمان المسكرات فيسير فى الحياة سير من ينتحر ببطء فيقضى على نشاطه ومواهبه العقلية ، هذا فضلا عما ينشـأ عنه أيضـا من الضرر الصحى . وقد فصلنا ذلك فى بحث « صحة الأبدان » .

وأما الضرر الاجتماعى فالخمر سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الأصدقاء وغيرهم ، ذلك أن شارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذى كان يمنعه من الأقوال والأعمال القبيحة فيسىء الى الناس ويسرع اليه الغضب بالباطل فيكون سببا للمشاجرة والخصام .

كما أن الخمر يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، لأن السكران لا عقل له ولا وعى يذكر بـه ربه ويثنى على نعمه ويعبده ، والعبادة لا تقوم الا على العقل ، من هنـا كان الاسلام الذى حرم الخمر وشرع العقوبة للسكران أسمى من غيره من الأديان التى لم تحرم الخمر أو التى لم تشرع العقوبة لمن يتنـاول الخمر ، فالدين من أول واجباته دعوة الانسـان لعبادة خالقه ، وليس هناك عبادة لله اذا سكر الانسان ، فتحريم الخمر فى الاسلام مع بيان ضرره هى مفخرة له ، ودليل على أنه دين روحى يقوم تشريعه على ما يهذب النفس ويسمو بهـا عن شرور المـادة .

● **مضـار القمـار :**

أول ما يطالعنا من مضار القمار هو ما يحصل منه من الضرر المـالى

للمقامر ، وقد فصلنا ذلك فى بحث « الاقتصاد » . وهنا نثبت ما ينشأ عنه من الضرر بين أفراد الأمة فهو مجلبة للعداوة ، فان ربح المقامر لا يقوم الا على خسران الغير ، فهو مغتصب مال أخيه على مرأى منه ، وكلما أوغل الانسان فى الخسارة اشتد حنقه على الرابح الذى يسلبه ماله فى لحظات قليلة ، هذا المال الذى بذل فى جمعه عصارة جهده وعقله ، وكثيرا ما يتمادى لاعب القمار فى الخسران حتى يفقد كل ماله فيؤدى به ذلك الى عدم السيطرة على نفسه فينتحر أو يتعرض للرابح بالشتم ويضمر له كل شر ، وربما انتهى ذلك بالشجار كما هو مشاهد عند بعض المقامرين .

والقمار يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، فالمقامر تتوجه جميع قواه العقلية الى اللعب الذى يرجو منه الربح ويخشى الخسارة ، ويستغرق فى ذلك زمنا طويلا ينسيه خالقه ويلهيه عن عبادته ويشغله عن الصلاة التى تسمو بروحه ، وليس هناك عمل من الأعمال يشغل الفكر ويصرفه عن كل ما سواه مثل القمار ، لذلك كان هذا الاستنتاج الذى تطرق اليه القرآن آية فى دقة الوصف وصدق الواقع .

فتحريم القمار يعطينا برهانا على أن الاسلام دين روحى يحرم كل ما يضر الانسان ويلهيه عن عبادة خالقه .

* * *

٤ ـ الكذب ومظاهره :

الكذب أصل الرذائل ، به يتصدع بنيان المجتمع ، ويختل سير الأمور ، ويسقط صاحبه من عيون الناس فلا يصدقونه فى قول ، ولا يثقون به فى عمل ، وأكثر الناس فى الحياة أصحاب حرف ، وصاحب الحرفه محتاج فى بيعه وشرائه وعمله الى ثقة الناس به ، والكذب يهدم هذه الثقة ، لهذا كتب الله على الكاذبين الضلالة فقال سبحانه :

﴿ ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ﴾(١) .

---

(١) غافر : ٢٨

وقال أيضا : ﴿ ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾(١) .

﴿ ان الله لا يهدى من هو كذاب كفار ﴾(١) .

وتوعد الله الكاذبين بالعذاب الأليم يوم القيامة :

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب اليم ﴾(٢) .

والكذب ليس بغيضا فى جميع الظروف على الاطلاق ، فهناك ظروف قد يكون فيها الكذب أجدى من الصدق وأنفع للانسانية وذلك للاصلاح بين الناس ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا »[٣] .

● **والخيانة :**

هى شر أنواع الكذب التى يتصف بها المرء وينتقل ضررها مباشرة الى سائر أفراد الأمة ، وما انتشرت هذه الصفة فى قوم الا كانت نذيرا للخراب والفوضى ، ولهذا نهى الله المؤمنين عن الخيانة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ﴾(٤) .

وأخبر الله أنه يبغضهم : ﴿ ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾(٥) فعلى الذين ينشدون بناء مجتمع سليم أن يتوجه أكبر سعيهم الى محاربة هذه الرذيلة ليحصلوا على السلام فى حياتهم .

---

(١) الزمر : ٣ (٢) النحل : ١١٦ ، ١١٧

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم جـ ٤ ــ ص ٢٠١١ ، ٢٦٠٥

(٤) الأنفال : ٢٧ (٥) النساء : ١٠٧

● **خلف الوعـــد :**

ومن ضروب الكذب المكروهة خلف الوعد وهى صفة تدل على أن صاحبها ذو شخصية ضعيفة لا يرجى منها خير ولا تكون موضع ثقة ، وهى تنزع المودة من بين الأفراد ، ويحصل منها كثير من الأضرار ، من تضييع وقت الغير ســدى ، أو ايجاد أمل كاذب عنده ، أو نحو ذلك . لهذا وصف الرســول صلى الله عليه وسلم خلف الوعد بأنها من صفات المنافقين : « آية المنافق ثلاث : اذا حــدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان »[1] .

● **شــهادة الزور :**

وهى من أنواع الكذب التى يترتب عليها أقبح الشرور الاجتماعية وأخطر المشــاكل التى تودى بالأرواح وتؤدى الى ضــياع الحقــوق ونشر الفوضى ، لهذا فان الاسلام أثمها بإثم الاشراك بالله الذى هو شر الآثام فى الاســلام . قال الله تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبــوا قول الزور** ﴾(٢) ووصــف الله عبــاده المقــربين بقــوله : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور** ﴾(٣) .

● **البهتــان :**

وهو أيضا من ضروب الكذب الذى حرمه الاســلام ، ويقصد به فى الغالب النيل من انسان فى شرفه وعمــله ، وهــو يسبب كثيرا من الأضرار والبلايا ولهذا حذر الله منه بقوله : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾(٤) .

ففى هذه الآية يرشــد الله المؤمنين ويحذرهم أن يأخذوا بالأخبار قبــل الكشف عنها والتثبت منها ومن ســيرة حاملها لئــلا يصــيبوا أقوامًا بسبب الجهل . فيصبحوا بعد ذلك آسفين نادمين .

---

(١) رواه البخارى ، مسند احمد — ج ٢ — ص ٣٥٧
(٢) الحج : ٣٠ (٣) الفرقان : ٧٢
(٤) الحجرات : ٦

● **النميمة :**

وهى من ضروب الكذب ، التى تدل على أن صاحبها ذو نفسية مريضة لا هم له الا رؤية الناس متعادين متخاصمين ، وان أكبر سلاح يحارب به النمام هو عدم الاستماع له ، وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه :

﴿ ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم ﴾(١) .

فالمشاء بنميم هو ناقل حديث السوء من قوم الى آخرين .
ومثل هذا النمام نهى الله عن تصديقه وطاعته لأنه يفسد بين الناس .

***

٥ ــ احتقار الغير :

من أهداف القرآن الكريم احترام الغير لحفظ وحدة الجماعة ونشر المودة بينها والقضاء على أسباب الفرقة والعداوة ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ﴾(٢) .

يأمر الله المؤمنين فى هذه الآية بأن يحترموا غيرهم ويحافظوا على سمعتهم وكرامتهم وشعورهم ، فلا يستهزئون بأى فرد من الناس ذكرا كان أم أنثى ، ولا يحقرونه بالقول أو بالاشارة باليد أو اللسان أو نحو ذلك لمجرد رؤيته رث الهيئة فقير أو ذا عاهة ، اذ ربما كان المستهزأ به خير من المستهزىء فيكون هذا قد ظلم نفسه بتحقير من وقره الله ، فضلا عن أن المستهزأ به لن يرضى عن ذلك بل سوف يحمله الهزء على أن يفتش عن عيوب المستهزىء به ويذيعها ، وان لم يجد فيه ما يعيبه اختلق له معايب ونسبها اليه وألبسها ثوب الصدق فيتناقلها الناس وفى ذلك ما فيه من الضرر بالمستهزىء نفسه .

---

(١) القلم : ١٠ ، ١١ (٢) الحجرات : ١١

فاذا علمنا ذلك كله أدركنا أن السخرية تورث البغضاء فى القلوب ، وتقطع روابط المودة بين الأفراد .

ثم نهى الله أن يذكر أحد معايب غيره فى حضرته والطعن فى شخصه ، لأن ذلك داعية لاثارة العداوة أيضا بين أفراد المجتمع ، ويذكر الله فى هذه الآية أيضا أن المؤمنين كنفس واحدة لا يليق أن يطعن بعضهم بعضا ، فمتى عاب الانسان أخاه فكأنما عاب نفسه ، وهذا معنى قوله تعالى : **﴿ ولا تلمزوا انفسكم ﴾** .

كما نهى الله أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه : **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾** ولا فرق أن يكون اللقب المكروه صفة له أو لأبيه أو لأمه أو لغيرهم ممن له بهم صلة لأن ذلك يورث الحقد فى الصدور .

ثم بين الله أن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب موجبة للفسوق والخروج عن طاعة الله ، فلا يليق بالمؤمن أن يطلق عليه كلمة فاسق بعد أن عرف بالايمان ، والذى لا يرجعون عن اقتراف هذه الخصال الذميمة فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم لأنهم عرضوها لسخط الله .

* * *

٦ ــ الظن السيء والتجسس والغيبة :

وجاء فى القرآن فى الدعوة الى احترام الناس :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾(١) .

نهى الله فى هذه الآية عن ظن السوء بالمؤمنين لأنه مدعاة الى تحقيرهم والى ايقاع الضرر بهم ، ولهذا حذر الله منه بقوله :

---

(١) الحجرات : ١٢

« ان بعض الظن اثم » ويشترط فى حرمة الظن أن يكون المظنون بهم ممن عرفوا بالصلاح والأمانة ، أما الذين يتعاطون الخبائث والمنكرات فلا يحرم الظن السيء بهم .

ثم نهى الله عن التجسس على المؤمنين والبحث عما استتر من أمورهم ، لأن ذلك تعرض منهم لما لا يعنيهم وما لا يفيد ، وهذا لا يثمر الا الضغينة .

أما ما تفعله الحكومة من بث العيون لتتبع خطوات المفسدين الداعين الى الفتنة فهو لا يشمله النهى المنصوص عليه فى الآية القرآنية السابقة ، لأن النهى غايته كل ما يثير العداوة بين الناس .

وأخيرا نهى الله عن الغيبة ، وهى : أن يذكر الانسان أخاه المسلم فى غيبته بما كرهه ، سواء أكان الذكر صراحة أم كناية أم اشارة أم رمزا ، وسواء أكان ما يذكره متعلقا بدينه أم دنياه ، وبخلقه أم خلقه ، لأن فى ذلك اثارة للعداوة بين الناس .

وقد نفر الاسلام من الغيبة هذه ، حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه المؤمن ميتا ، فقال سبحانه : « ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم » أى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ؟ فاذا كنتم لا تحبون ذلك ، بل تكرهونه ، فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه فى حياته . أما المجاهر بالفسق والداخل فى مواطن الريب فلا يحرم ذكر حاله اذا قصد التنفير من عمله والتحذير من سلوكه .

ثم ختم الله الآية بالدعوة الى تقواه لأنه يتوب عمن يمتنع عن هذه الصفات الذميمة .

* * *

٧ ــ الزنا :

الزنا رذيلة تحرم الانسان من الطمأنينة النفسية التى تتمتع بها النفس الطاهرة المستقيمة ، فالعفة تجلب لنا السلام وطمأنينة النفس ،

بينما الزنا يدخل القلق الى نفوسـنا ويولد فيها الشعور بالاثم ، ذلك الشـعور الذى يصيب النفس بأضرار شـتى ، وقد وصف لى أحـد الذين تورطـوا فى هـذه الرذيلة نفسـية الزانى بقـوله تعـالى : ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾(١) ، وكل نظرة تأنيبا لهم .

والزانى لا يسلك الطريق المشروع ، وهو الزواج ، لأنه يريد أن يستمتع على حساب غيره استمتاعا لا يكلفه شيئا من التضحية والاخلاص للغير ، بينما الزواج ناموس طبيعى يفرض على المرء أن يبذل بعض حياته لغيره ، ويخلف أولادا يحسن تربيتهم فيصبحوا أفرادا صالحين غيورين على الخير العـام .

هذه هى المتعة الروحية التى يشعر بها المتزوج .

والزنا كالسيل يغرق صفاتنا الأدبية ويطفىء ما بنا من نور وخلق كريم ، ويخلف لقطـاء يكونون عالة على المجتمع ، ويحملون شـعورا لا يمحى من الألم ، ونظرة حنق على هـذه الحيـاة التى حرمتهم لذة العيش فى كنف أبوين يحنوان عليهم ويهيئان لهم مستقبلا زاهرا .

والزواج هو الرابطة الانسانية التى تصل ما بين الجنسـين بالود والرحمة والتضحية كما صرح بذلك القرآن ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾(٢) بينما الزنا يجعل علاقة الجنسـين حيـوانية قائمـة على اللذة العـابرة والمنفعة الشخصية مما يجر الى كثير من العداوات .

لهـذا حرم الاسـلام الزنا ، ووصـفه بأنه فاحشـة وأنه طريق السوء الذى يجب على الأمة أن تجتنبه . قال تعالى ﴿ **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾(٣) وكان من سـمو الاسـلام أن شرع العقوبة الزاجرة لهذه الرذيلة — مائة جلدة — أو الرجم للمحصـن . وذلك لأن الأخلاق ليس لها من الاحترام ولا يمكن تطبيقها اذا لم يكن لها من قوة العقوبة ما يكفى أن تزجر النفوس المريضة الشريرة بخلاف

---

(١) المنافقون : ٤
(٢) الروم : ٢١
(٣) الاسراء : ٣٢

ما اذا كانت تعاليم الأخلاق فى دائرة نظرية بحتة ، فانها لا تؤدى الى الغرض المطلوب ٠

* * *

٨ ـ الغضب :

الغضب من الرذائل الخلقيـــة التى اذا تحكمت فى نفوس النـــاس وتمكنت من مجتمعاتهم كان لها أســوأ الأثر فى حياتهم ، ونتائج بشعة فى تمزيق روابط المودة بينهم ٠

فالانســـان حين يشتد غيظه يفقد الرشـــد والصواب ٠ ويصـــبح وحشـــا ضاريا لا يدرى ما يفعل ، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفســـه المحافظ على كرامتها وهو انما يظهر بمظهر الطائش الأحمق ، وهو لا شـــك خاسر لأن الغضب يعتبر شروعا فى الاعتداء بينما يعتبر الحلم دليل فطنة ورجاحة عقل ٠ كمـــا أن الانفعال الذى يثيره الغضب ضـــار بصحة الانسان من وجوه كثيرة كما أثبت الطب ذلك ٠

لذلك كله جعـــل الاســـلام من صـــفات المتقين الذين يســـتحقون رضـــوان الله عـــدم الاستســـلام للغضب ٠ قال الله تعالى فى وصفهم : **﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(١)** ٠

فالغيظ هو أشـــد الغضب ، وكظم الغيظ هو الامساك على ما فى النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر ٠

ولا يدعو القرآن الى كظم الغيظ فقط ، بل يدعو الى العفو على المعتدى الذى أثار الغضب ومقابلته بالاحسان ، فالانسان لا يثار غضبه الا عند الاعتداء عليـــه أو انتقاص حقه من الغير ، وهذه أرفع منزلة من السمو الخلقى يمكن أن يسلكها انسان عند فوران غضبه ٠

فالانسان فى غضبه حاكم غير منصف ، لا يرى فى وقت غضبه صوابا ،

---

(١) آل عمران : ١٣٤

لذلك تأتى أحكامه بعيـدة عن الحق ، لهذا جعل الاسلام من صـفات المؤمنين العفو عنـد الغضب ، قال الله تعـالى : « واذا ما غضبوا هم يغفرون »(١) .

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم عد مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من أمارات البطولة : « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »(٢) والمعنى : ليس القوى الذى يصرع خصمه ، بل القوى الذى يسيطر على نفسه عند الغضب .

فعلى الذين ينشدون الرقى الأدبى أن يتعودوا امتلاك نفوسـهم ويضبطوا كل نزوة يبعثها الانفعال الطارىء فينطلق بها الفم قبـل أن يمحصها العقل فانهم أحرى بذلك أن يجتنبوا مشاكل لا حصر لها .

* * *

٩ ـ الحســد :

الحسد من الرذائل الخلقية أيضا ، وهو من أقبح الخصـال التى تصيب الانسان وتنكد له عيشـه ، فان الحسود الذى يتمنى الشـقاء والنحس لغيره يشقى نفسه أيضا بهذا الحسد ، فهو بدلا من أن يستمد السرور مما أوتى من خير نراه يسـتمد العذاب من الخير الذى أوتيه سـواه . وعصرنا الحاضر يقوم فيه الحسد بدور خطر ذى أهمية بالغة ، فالفقير يحسد الغنى ، والنسـاء يحسـدن الرجال ، والقبيحات يحسدن الجميلات ... وهكذا ، مما يجعـل بعض الأمة يكره بعضـها الآخر ويتمنون لهم الشـقاء .

فالحاسـد خلقـه اللؤم ، ولذته الوشـاية بين النـاس والوقيعة والدس بينهم ، فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوه سمعته لأجل

---

(١) الشـورى : ٣٧

(٢) رواه البخارى ـ جـ ٧ ص ١٥ ، ٩٣ ـ كتاب الأدب .

أن يحل محله ، أو يجعل منه انسانا فاشلا مثله ، فالحسود انسان فقد الثقة بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته ، لذلك نهى القرآن عن الحسد : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله** ﴾(١) .

نهى الله في هذه الآية عن تمني ما أوتي الغير وهو التعرض له بالقلب حسدا ، ثم أخبر الله المؤمنين بأن ما يكتسبه الانسان هو نتيجة عمله وسعيه ، فعلى المؤمنين أن يعتمدوا على جهودهم ، ومواهبهم لنيل ما يرغبونه ، وما حرموه فليسألوا الله أن يعطيهم من فضله وانعامه .

وأمر الله في موضع آخر بالاستعاذة به من الحاسد : ﴿ **ومن شر حاسد اذا حسد** ﴾(٢) ، والحاسد يستحق الرثاء والشفقة مما يلاقيه من ألم ، فما أحرى بنا أن نقابل حسد الحاسدين بالعفو عنهم وعدم مؤاخذتهم على حسدهم الذي لا يضر الا أنفسهم وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه : ﴿ **ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره** ﴾(٣) .

● **علاج الحسد :** وهناك وسائل شتى للتخلص من الحسد منها : أن يقنع الانسان بما يصادفه في حياته من خير ، ويؤدي واجبه مع عدم المقارنة بين حاله ومن هو أسعد منه حظا ، بل ينظر الى من هو دونه ليدرك فضل الله عليه ، وهذا ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم : « **اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل ممن فضل عليه** »(٤) .

* * *

---

(١) النساء : ٣٢ — (٢) الفلق : ٥
(٣) البقرة : ١٠٩
(٤) اللفظ لمسلم — جـ ٤ — ص ٢٢٧٥ — ٢٩٦٣

١٠ ــ اللغـــو :

وفى الاسلام عامل قوى للسمو الروحى والنجاح ، والنجاح فى هذه الحياة هو ما دعا اليـــه القرآن من الاعراض عن الثرثرة والهزل . والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة الغاءه ، وهو ما ســماه الله لغوا ، جاء فى القرآن : ﴿ **قـد افلح المؤمنون . الذين هم فى صـلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾(١) .

وقد تكرر فى القرآن النهى عن اللغو بصور شتى ، قال الله تعالى فى وصف عبــاده المقربين : ﴿ **واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنــا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين** ﴾(٢) .

ويقول سبحانه فى وصفهم : ﴿ **واذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾(٣) .

أى مروا معرضين عنه مترفعين بأنفسهم عن مشاركة أهل اللغـــو .

ويدخل فى معنى اللغو ما استحدثه الناس من صنوف اللهو الفاجر الذى لا يهذب النفس ولا يرقى الشعور وذلك لاشتماله على كل ما يثير الشهوات ويفسد الخلق الانسانى .

وإن من أسباب رقى الشــعوب : اعراضها عن اللغو ، وانهماكها فى العمل المفيد المثمر ، بعكس ذلك الشعوب المتخلفة التى يكثر فى أفرادها اللغو والكلام الفــاحش فى أحاديثهم واضــاعة الوقت بدون فائدة مجــدية(٤) .

* * *

---

(١) المؤمنــون : ١ ــ ٣ (٢) القصص : ٥٥

(٣) الفرقان : ٧٢

(٤) انظر : روح الدين الاسلامى ــ عفيف عبد الفتاح طبــارة ، ص ٢٢٥ ــ ٢٤٠

المبحث الرابع

شـــد الأزر

مكث موسى بعد ولادته عدة أشهر فى كنف والدته ، ولمـا خافت افتضاح أمرها ألهمها الله أن تهىء له صندوقا تضعه فيه ثم تطليه بالقار ، ثم تلقى به فى نهر النيل وقـد هدأ الله من روعها ، وبشرها بأنه سـيرجعه اليهـا ويجعله من المرسلين .

انتشل بعض آل فرعون الصندوق من المـاء ، وعندما فتحوه وقعت عين امرأة فرعون على الطفل موسى ألقى الله محبته فى قلبها ، وأدركت أن زوجها سيقتله كما قتل جميع أولاد بنى اسرائيل ، فقالت له : هـذا الولد سيكون مسرة عين لى ولك ، لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا بعد أن حرمنا من الأولاد ، فوافقها فرعون على ذلك واستبقاه لها ، وهكذا نجـا موسى من الهلاك المحقق ، وكان فرعون ووزيره هامان وجنودهما لا يدرون ما يخبئه القـدر لهم من أنهم انتشلوا من سيكون لهم عدوا ، ومصدرا لحزنهم وسببا لهلاكهم بسبب كفرهم وطغيانهم .

وأتوا لموسى بالمراضع ولكنه عافهن جميعا ، فتقدمت أخته وعرضت عليهم أن تدعو لهم امرأة ترضعه ، فقبلوا ذلك وبعثوها فى طلب المرضعة فجاءت بأمه فأستأنس بها الوليد والتقم ثديها دون سـائر المراضع ، وهكذا أيقنت أم موسى أن وعد الله حق بعد أن أرجع اليها وليدها .

قال تعالى :

« واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فاذا خفت عليـه فالقيـه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسـلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ، ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امراة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون . واصـبح فؤاد ام موسى فارغا ،

ان كادت لتبدى بـه لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لاخته قصبه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حـق ، ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾(١) ، (٢) .

ولـمـا كبر موسى ــ عليه السلام ــ فى بيت فرعون ، واشتد عوده، وقوى ساعده وعلم أنه من بنى اسرائيل قرر فى نفسه أن يكون ظهيرا لهم..

وعندئذ اتجهت أنظار المستضعفين من بنى جنسه اليه لينقذهم من الظلم والتعسف والاستبداد الذى فرضه عليهم فرعون وقومه . وبينما هو خارج من العاصمة الفرعونية ، رأى شجارا يدور بين مصرى وعبرانى وقد احتدم الخلاف بينهما وتطور الى عراك ، فهتف بـه العبرانى أن يسـاعده وينصره ، فاستجاب له موسى وضرب الغريم المصرى فأرداه قتيلا ، وثار القبط ضد موسى وشيعته ثم اتسعت ثورة المصريين ضـد موسى عندما استصرخه عبرى آخر على قبطى فى الطريق مرة أخرى ، فذهب القبطى ، ونقل الخبر الى فرعون الذى أرسل بطلب موسى ليقتله، وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من اهلهـا فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ﴾(٣) .

وجاء موسى رجل من المدينة ، ينبئه أن القوم يأتمرون به ليقتلوه ونصحه بالخروج من ديار فرعون ، فلم يجد موسى بدا من الخروج هربا مما يدبر ضده من شر ، ويقول الله فى هذا :

---

(١) القصص : ٧ ــ ١٣
(٢) انظر : مع الأنبياء فى القرآن الكريم ــ عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٣) القصص : ١٥

﴿ وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب ، قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴾(1) .

* * *

● **موسى .. فى مدين :**

فاتجه الى الشرق ، حيث حط عصا الترحال بمدين مقر نبى الله شعيب ، وهناك وجد امرأتين تقفان على ماء لمدين ، ولا تستطيعان التزود منــه ، لمــا حوله من زحام شديد ، فلما خفت حدة الزحام سقا لهما ، ثم انصرفتا ، واخبرتا أباهما بأمر موسى ، فعادت اليــه احداهما تدعوه لزيارة أبيها ، وكان شيخا كبيرا فقص عليه موسى أمره ، فطمأنه الشــيخ ثم زوجه باحدى بناته ، وكان صداقه ، أن يقوم موسى برعى غنم الشيخ ثمانى سنين .

وبعد أن أتم موسى ــ عليه السلام ــ مدة الخدمة ــ الثمانى حجج فكر فى العودة الى مصر ، آملا أن يكون القوم قد نسوا خطيئته ، ليعيش بجانب بنى اسرائيل .

وترك موسى مدين ، وسار مع زوجته فى طريق عودته الى مصر ، حتى وصل الى طور سيناء ، هنالك ظن أنه ضل الطريق ، فوقف متحيرا مترددا ، ولكنه ما لبث أن أبصر نارا تشتعل فى جانب الطور الأيمن ، فأمر أهله أن يمكثوا حيث هم ليأتيهم بخبر هذه النار أو بقبس منها .

* * *

● **الأمر بالذهاب الى فرعون :**

فلما أتى الى النار التى رآها ناداه ربه فقال :

﴿ اذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منهــا بقبس أو اجد على النــار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى . انى انا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى . وانا اخترتك فاستمع لمــا يوحى .

---

(1) القصص : ٢٠ ، ٢١

إنني أنــا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكرى . ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بهــا واتبع هواه فتردى . وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصــاى أتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيهــا مآرب اخرى . قال القهــا يا موسى . فالقاها فاذا هى حية تسعى . قال خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الاولى . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير ســوء آية اخرى . لنريك من آياتنا الكبرى . اذهب الى فرعون انه طغى ﴾(١) .

اطمأن موسى — عليه السلام — حين ناداه ربه ، وهدأت نفســه وســكن قلبه ، بعد أن فزع وخاف من تغير شكل عصاه الى حيــة تسعى .

تلقى موسى — الرسول — الأمر من الله بالتوجه الى فرعون ، ليخرجه وملأه من الظلمات الى النور وليرفع علم الحق خفاقا فى البلاد ، فينبلج نور الرشاد والهدى على رباها ، ويتوارى غلس الضلال من علاها ، وأعطاه ربه برهانين هما : انقلاب العصا الى حية تسعى ، ويده التى أدخلهــا فى جيبه فأخرجها بيضاء من غير سوء .. فهما — اذن — برهانان من الله له يعزز بهما كلمته ويعلى بهما دليله أمام خصمه وعدوه فرعون العنيد .

* * *

● رب انى اخاف ان يقتلون :

لئن كان موسى قد ربط الله قلبه بالايمان ، ووثق بالبراهين دعوته ، فأشهده حجتين تعضدانه وتسندانه ، ليقف كالطود أمام فرعون وملئــه وما جمعوا ، فيساجل ويناضل ويقرع الحجة بالحجة ، ويدفع الباطل المظلم بالحق الواضح . لئن كان ذلك كله فان موسى يشعر بثأر قــديم بينه وبين فرعون ، فقد طلبوه منذ أمد بعيد ليثأروا منه فهرب وفارق الأهل والوطن لينجو بنفسه من غائلة فرعون وقومه شر ما بيتوا له . ومع هذا الخوف الذى يدعوه الى الاحجام والحذر من دخول المدينة الفرعونية

---

(١) طــه : ١٠ — ٢٤

تنفيذا للأمر الالهى بابلاغ دعوة الله الى فرعون . فابن الشوق يتحرك فى قلبه حنينا الى الوطن فكيف يحقق مطلبه هذا ؟! اذن فليعلن عما يجيش فى نفســه من أمل ومطلب ، بدل أن تظل حبيسة فى صــدره لذلك فاض قلبه بالضراعة الى ربـه الذى كلفه وشرفه بالمهمة الشــاقة لعله يجد فى رحابه تعالى : مخرجا مما يخاف ، ومأمنا مما يحذر ، فطلب من ربه أن يرســل معــه أخــاه هارون ليكون عضـــدا له عنــد فرعون ليأمن مــا يكره من بطشــه وجبروته ، فهتف :

﴿ قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون . واخى هارون هو افصح منى لســانا فارسله معى ردءا يصدقنى ، انى اخاف ان يكذبون . قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ، بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾(١) .

﴿ قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى امرى . واحلل عقــدة من لســانى . يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من اهلى . هارون اخى . اشدد بـه ازرى . واشركه فى امرى ﴾(٢) .

﴿ قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ﴾(٣) .

أجاب الله دعــاء نبيه موسى تكريما له ، وتدعيما لرسالته ، وتوضيحا لشأن الحق ، فألهم أخاه هارون أن يذهب الى حيث يقيم ليعضده ويحمل معه أعباء الرسالة . فلبى هارون نداء الحق وسار الى موسى حيث التقيا بجانب الطور الأيمن .

بهذا اطمأن فؤاد موسى ، وامتلأت نفسه قوة وسندا ، فتهيأ للذهاب الى فرعون ، ودعوته الى عبادة ربه ، والاذعان لشريعته . فيما يلى قول الله تعالى فى شأن ارسال موسى وهارون :

﴿ ولقــد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون ومــلاه فاتبعوا أمر فرعون ، وما امر فرعون برشيد ﴾(٤) .

---

(١) القصص : ٣٣ — ٣٥
(٢) طـه : ٢٥ — ٣٢
(٣) طـه : ٣٦
(٤) هـود : ٩٦ ، ٩٧

﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملاه فقال انى رسول رب العالمين ﴾(١) .

﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملاه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾(٢) .

﴿ ثم أرسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملاه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ﴾(٣) .

* * *

● الدعوة فى رفق :

ان صاحب النفس المغرورة ، والقلب الغليظ ، والمتعاظم بأبهة الملك وسلطانه ، المتفاخر بعظمة السطوة والتحكم الدكتاتورية .. هذا الذى يحمل بين جنبيه مثل هذه الخلال المذمومة . لا تنفع معه دعوة بعنف . أو خطاب بغلظة من شأنه أن يحمله على العناد . ويزيده مكابرة وصلفا ويدفعه الى الاستمرار فى التمرد .

ولقد كانت الوسائل الأولى لدعوات الرسل والأنبياء تقوم على أساس : القول اللين والعبارة المهذبة والحلم فى الخطاب . والاقناع بالحجة .. فهى — اذن — وسائل تجذب ولا تنفر وتقرب ولا تبعد :

﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾(٤) .

ومن أولى من رب السموات والأرض والناس بأن يعلم رسله الأدب ورقة العبارة . وحسن المعاملة . وجمال الأسلوب . وهم الذين أرسلوا لأقوام تشعبت نفوسهم بعقائد باطلة وتحجرت قلوبهم من طول تمسكهم بشرائع التحكم والعصبية والتعالى .

كذلك أمر الله تعالى نبيه موسى حين أرسله الى فرعون أن يترفق

---

(١) الزخرف : ٤٦
(٢) يونس : ٧٥
(٣) المؤمنون : ٤٥ ، ٤٦
(٤) النحل : ١٢٥

بـه في الدعوة ، وأن يلين له الخطاب ، ليسـد أمامه منافذ التمحل والاعتـذار ولعـله أن يلين من قسـوته ، وتخشع سطوته ، وينزل من عليـائه :

﴿ اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى . اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينـا لعله يتذكر او يخشى ﴾(١) .

﴿ واذ نـادى ربك موسى ان ائت القـوم الظالمين . قـوم فرعون ، الا يتقون ﴾(٢) .

* * *

● خـوف .. واطمئنان :

وخشي موسى وهارون أن يبادرهما فرعون بالعدوان وهما ضعيفان: وهو في ذروة سطوته وجبروته ، لكن الله تعالى طمأنهما ، وآمن خوفهما بأن لا يخافا من فرعون فهو معهما يسمع كلامهما ، وهو معهما بنصره وتأييده وحفظه :

﴿ قالا ربنـا اننـا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى . قال لا تخافا ، انني معكما أسمع وأرى ﴾(٣) .

﴿ قال كلا ، فاذهبا بآياتنا ، انا معكم مستمعون ﴾(٤) .

واطمأن موسى وهارون الى المعية الالهية : والنصرة الربانية فمضيا الى فرعون — عزيز مصر — ليبلغاه دعوة الله الهادية الخيرة ، وليخلصا بني اسرائيل مما يرزحون تحته من ظلم وعذاب ، والى القارىء ما قصه القرآن من خطاب موسى وهارون لفرعون :

﴿ وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العـالمين . حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم فارسـل معي بني اسرائيل ﴾(٥) .

---

(١) طـه : ٤٢ — ٤٤
(٢) الشـعراء : ١٠ ، ١١
(٣) طـه : ٤٥ ، ٤٦
(٤) الشـعراء : ١٥
(٥) الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥

﴿ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى . انـا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ﴾(١) .

﴿ فأتيا فرعون فقولا انـا رسول رب العالمين . أن ارسـل معنـا بنى اسرائيل ﴾(٢) .

* * *

● **مكابرة فرعون واستهانته بالدعوة :**

وما كاد فرعون يسمع من موسى دعوته الى الله حتى استهان بها . واستخف بمضمونها . وأنكر دعوته . وبادره باتهامه وأخيه بفتنتهم . ومحاولة اخراجهم من معتقدات آبائهم لتكون لهم السيادة والسلطان فى بنى اسرائيل : **﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ﴾(٣) .**

ثم أردف فرعون يقول : ألست أنت الذى ربيناه فى بيتنا وأنشأناه على فراشنا . وأحطناه برعايتنا وأسبغنا عليه من نعمنا مدة من السنين ؟ ثم تبلغ بك الجرأة أن تقابل احساننا بتلك الفعلة التى فعلتها . حين قتلت منا رجلا ثم جحدت نعمتنا عليك وذهبت . تدعونا الى عبادة اله آخر :

﴿ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ﴾(٤) .

ورد موسى على فرعون : اننى فعلت فعلتى تلك وأنا جاهل . لم يوح الى بعد . ولم أحمل عبء الرسالة . واننى لمـا خفت منكم البطش والفتك اضطررت الى الفرار . ثم أصابتنى نعمة الله ورحمته . فوهب لى علمـا وحكمة وجعلنى من المرسلين .

---

(١) طـه : ٤٧ ، ٤٨

(٢) الشـعراء : ١٦ ، ١٧

(٣) يونس : ٧٨

(٤) الشـعراء : ١٨ ، ١٩

وهاك ما رد به موسى على فرعون عن تلك الفعلة كما يقصه الكتاب العزيز :

﴿ قال فعلتها اذن وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ﴾(١) .

ورأى فرعون أن موسى عليه السلام قد رجحت كفته وقويت حجته وأفحمه بيانه . وغلبه فى الخطاب .. وعندئذ ثار واضطربت نفسه ، ولج فى غضبه . وحين عجزت حجته لجأ الى سلطانه . يريد أن يقهر بذلك موسى ليرغمه على العدول عن دعوته :

﴿ قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ﴾(٢) .

لكن موسى لم يبال بتهديد فرعون . بل اطمأن الى دعوته . فانطلق يعلن فى ثقة وأمل وقوة أنه سيأتى له بحجة دامغة ومعجزة ناطقة تزيل عنه ما علق بذهنه من الريب والشكوك : **﴿ قال أو لو جئتك بشىء مبين ﴾(٣).**

ورد عليه فرعون : **﴿ قال فات به ان كنت من الصادقين ﴾(٤) .**

* * *

● آيات موسى المعجزة :

كانت آيات موسى المعجزة هى :

١ – العصا التى تحولت باذن الله الى ثعبان عظيم .

٢ – شعاع يخرج من يد موسى بعد أن وضعها فى جيبه بهرت الناظرين .

٣ – العصا تبلع كل ما جاء به سحرة فرعون من ادعاء السحر .

---

(١) الشعراء : ٢٠ ، ٢١ (٢) الشعراء : ٢٩
(٣) الشعراء : ٣٠ (٤) الشعراء : ٣١

وجمع فرعون السحرة من كل فج لقهر موسى وتحديه واسكاته ، لكن هيهات أن يحجب الشمس غبار ثائر دنس ، وأن يطمس معالم الحق افك الباطل وبهتانه وحقده .

تقدم السحرة وألقوا بما فى أيديهم من حبال وعصى . فدخل فى روع موسى أنها حيات حقيقية تسعى على الأرض . وخاف موسى ولكن الله طمأنه بقوله تعالى : **﴿ قلنا لا تخف انك انت الأعلى . والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى ﴾(١)**.

***

● **ايمـان السحرة بموسى :**

اطمأن موسى الى نصرة الله . وتأييده لدعوته . وشده لأزره . وتنفيذا لأمره تعالى ألقى موسى عصاه . فاذا عصاه بقدرة خالقها القوى تلقف ما يأفك سحرة فرعون . وتبتلع ما أظهروه مما سحروا به أعين الناس من تخيل وافك . وهنا يستبين للسحرة الرشد من الضلال وعندما يلمسون الحقائق الرائعة يخرون ساجدين اعترافا منهم بصحة دعوة موسى واقرارا بجدية رسالته .

***

● **خروج موسى ببنى اسرائيل :**

استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام . وأمره أن يخرج ببنى اسرائيل ليـلا من غير اذن فرعون أو علمـه . فقال جـل شـأنه : **﴿ فاسر بعبادى ليـلا انكم متبعون ﴾(٢)** .

خرج موسى ببنى اسرائيل ليلا الى حيث أمره مولاه طلبا للنجاة من حكم فرعون الظالم وبعد تعسفه فسهل الله له طريق الخروج من مصر . حتى اذا وصلوا البحر وجدوه سدا منيعا حال دون تحقيق غايتهم . وعاق طريقهم ومسـيرتهم . لقـد تصوروا أن الموت واقع بهم لا محالة فالبحر أمامهم . والعدو وراءهم . واشتد غضب فرعون عندما سمع بخروجهم

(١) طـه : ٦٨ ، ٦٩ (٢) الدخان : ٢٣

من مصر هربا من ظلمه ، سار فرعون بجنوده وراء موسى ومن معه حتى أبصر بعضهم بعضا عن بعد ، ووقف قوم موسى وجلين خائفين خشية أن يدركهم فرعون وجنوده ، لكن موسى الواثق بالله المطمئن الى رحمته، المتيقن من نصرته لجأ الى الله تعالى . لينقذه من طغيان فرعون ، وهتف في ايمان وثقة : ﴿ قال كلا ، ان معي ربي سيهدين ﴾(١) .

* * *

● **نجاة موسى وتمزق فرعون :**

وهدى الله نبيه موسى الى سبيل النجاة . وأراه طريق الخلاص من عدوه ﴿ **فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾(٢) .

ضرب موسى بعصاه البحر فانفلق وصار كالجبل ، عندئذ انجلت المخاف عن قوم موسى . وعبروا البحر . وبينما هم كذلك أبصروا فرعون وجنوده من ورائهم يريدون اجتياز البحر ليلحقوا بهم لكن الله ــ القادر على كل شيء ــ يعيد البحر الى حالته الأولى . فجرت مياهه وتلاطمت أمواجه واشتد عبابه فينزل بفرعون وجنوده العذاب المحتوم العادل . اذ غشيهم الماء في كل مكان . وأطبقت مياهه عليهم وأغرقتهم.

* * *

● **نهاية الظالمين :**

غرق فرعون وجنوده وهلكوا ولم ينفعهم كفرهم وعصيانهم وجحودهم . فخرجوا من أموالهم وقصورهم وحليهم وفقدوا ملكهم وما كانوا يتقلبون فيه من نعم .

وعبر موسى البحر بقومه بعد أن نجاه الله من كيد فرعون وشره .. ثم مضى ببني اسرائيل الى حيث أمر يتلقى من الله شرعا فيه هداية لبني اسرائيل[٣] .

* * *

---

(١) الشعراء : ٦٢ (٢) الشعراء : ٦٣

(٣) انظر : الانبياء في القرآن ــ سعد صادق محمد ، ص ١٦٩ ــ ٢٢٢ (بتصرف) .

الفصل الثالث

مقومات الأخوة الاسلامية

المبحث الأول — رابطة الولاء فى الله :

قامت الأخوة الايمانية على أصل العقيدة دون اعتبار للنسب أو اللون أو الأرض أو اللغة . وبهذا كانت العقيدة الايمانية جنسية المؤمن ، اليها انتسابه وانتماؤه وولاؤه ، وكان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد .. وينشأ من الانضمام الى التجمع الاسلامى[١] .

وبهذا كان للأخوة الايمانية أثرها فى الولاية والتناصر بين المؤمنين. يقول الله تعالى : **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٢)** .

وهذه الولاية انتماء وانتساب فاعل ، وليست مجرد دعوى ، يقول الله تعالى : **« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا »(٣)** .

لأنهما حزبان : مؤمن وكافر ، ولأيهما كانت الولاية كان الانتساب — بنص القرآن ، يقول العزيز الحكيم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين »(٤) .

---

(١) معالم فى الطريق — سيد قطب ، ص ١٧
(٢) التوبة : ٧١ (٣) الانفال : ٧٢
(٤) المائدة : ٥١

ـ وهى قيد فى المحبة الايمانية كى تكون محبة مؤثرة ـ وليست محصورة بين أضلاع الصدر بحيث لا تزيد أن تكون اعجابا أو حنينا ، فهى تصدق بما تقتضيه من الاعتزاز بالاسلام ، والدفاع عنه ، والمناصرة لأهله • وهى توجيه للمحبة الى المسار الصحيح الذى لا يلتبس فيه الحق بالباطل ، ولا يعرف المجاملة للمخالف بالباطل • قال عز وجل :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾(١) •

ولذا جاء الحصر فى قوله تعالى :

﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾(٢) •

ـ ان تولى المؤمنين ومناصرتهم يلزم منه البراءة من الكافرين ومعاداتهم • ذلك أن الاسلام جاء ليقرر أن هناك وشيجة واحدة تربط بين الناس فى الله ، فان انبتت فلا صلة ولا مودة • قال تعالى :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ﴾(٣) •

وأن هناك حزبا واحدا لله لا يتعدد ، وأحزابا أخرى كلها للشيطان ، قال تعالى :

﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾(٤) •

وأن هناك طريقا واحدا يصل الى الله وكل طريق آخر لا يؤدى اليه قال تعالى :

---

(١) الممتحنة : ١
(٢) المائدة : ٥٥
(٣) المجادلة : ٢٢
(٤) النساء : ٧٦

﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾(١) .

وأن هناك نظاما واحدا هو النظام الاسلامى وما عداه من النظم فهو جاهلية . قال تعالى :

﴿ افحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾(٢)

وأن هناك حقا واحدا لا يتعدد وما عداه فهو الضلال . قال تعالى :

﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ، فانى تصرفون ﴾(٣) ، (٤) .

ـ والشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل فى هذه الأرض . وأنه متى قام الاسلام باعلانه العام لربوبية الله وعبوديته للعالمين وتحرير الانسان من العبودية للعباد رماه المغتصبون لسلطان الله فى الأرض ولم يسالموه قط ، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن الانسان فى الأرض ذلك السلطان الغاصب(٥) . قال تعالى :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾(٦) .

ـ من هنا اقتضت الولاية الجهاد فى سبيل الله . وفى الجهاد صدق الولاية ، يقول الله تعالى :

﴿ أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون ﴾(٧) .

وتركه سبب لاستمرار الشرك والقضاء على حكم الاسلام وفتنة المسلمين عن دينهم وظهور الفساد فى الأرض . يقول عز وجل :

---

(١) الانعام : ١٥٣ (٢) المائدة : ٥٠.
(٣) يونس : ٣٢
(٤) معالم فى الطريق ـ سيد قطب ، ص ١٣٦ ، ١٣٧
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٨
(٦) الحج : ٤٠. (٧) التوبة : ١٦

﴿ والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنــة فى الارض وفســاد كبير ﴾(١) .

— وأعلى درجات هــذا الجهــاد : الجهــاد بالنفس وبالمــال ، يقول تعالى : **﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى ســبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون ﴾(٢) .**

والجهاد استجابة لأمر الله بالدفاع عن الدين وأهله ، والبراءة من أعدائه ، والاهتمام بأمر المسلمين ، وفداؤهم بالنفس وبالمــال .

والمجاهد يظهر مع اخوانه المجاهدين كالبنيان المرصوص ، يحفظ سرهم ، وينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويؤثرهم على نفسه ، ولا يضن عليهم بقوة ولا مال ولا رأى ، ولا يخون ولا يغل .

فالجهاد قصة الولاية الايمانية فى جميع فصوله : الاستعداد له ، وخوض معركته ، والاشتراك فى غنيمته .

— لقد كان من حكمة الله ســبحانه أنه لم يطلب من النــاس فى العبادة بأنواعها أن يبالغوا فيها أو يستفرغوا فيها كل جهدهم ، ولكنــه طلب ذلك فى الجهاد[٣] حين قال :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾(٤) .

ومن هنا وجب على أصحاب الكلمة الجهاد بها . ســواء أكانوا شــعراء أم خطبــاء أم كتــاب . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[٥] .

---

(١) الانفال : ٧٣ (٢) التــوبة : ٢٠
(٣) مع العقيدة والحركة والمنهج — على عبد الحليم محمود ص ١٤٩
(٤) الحج : ٧٧ ، ٧٨
(٥) أبو داود : جـ ٣ ص ٢٢ ، ٢٥٠٤

وقال : « ان من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[1] .

— وانه لابد لتحقيق أصل الولاية الصادقة والتناصر بين المؤمنين من أمور :

اولها — غرس عقيدة الولاء والبراء فى نفوس المسلمين :

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين** ﴾(٣) .

انطلاقا من قوله تعالى :

﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان** ﴾(٤) .

وامتثالا لقوله تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون** ﴾(٥) .

واقتداءا بأنبياء الله وأوليائه :

فهذا نوح أول الرسل — يطلب منه قومه طرد أتباعه المؤمنين فيرد عليهم : ﴿ **وما انا بطارد المؤمنين** ﴾(٦) ويدعو لأتباعه :

﴿ **قال رب ان قومى كذبون . فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين** ﴾(٧) .

---

(١) أبو داود جـ ٤ ص ٥١٤ (٤٣٤٤) ، والترمذى (٢١٧٥) كلاهما عن أبى سعيد .

(٢) فصلت : ٣٣ — (٣) الجاثية : ١٩

(٤) المجادلة : ٢٢ — (٥) التوبة : ٢٣

(٦) الشعراء : ١١٤ — (٧) الشعراء : ١١٧ ، ١١٨

ومن جانب آخر يبرأ الى الله من سؤال النجاة لابنه الكافر :
﴿ قال رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين ﴾(١) .

ومثل ذلك كان لآخر الرسل عليهم الصلاة والسلام فيقول له ربه :
﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ﴾(٢) .

ومن جانب آخر نزل عليه فى عمه أبى لهب : **﴿ تبت يدا ابى لهب وتب ﴾(٣) .**

وفى عمه أبى طالب :

﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴾(٤) .

يجب أن نغرس تلك العقيدة فى نفوس المسلمين بمثل ما صورها القرآن — فى قصص الأنبياء — وعلى رأسهم أبو الأنبياء ابراهيم الذى تبرأ من أبيه وقومه حين كفروا بالله .

يقول الله تعالى : **﴿ قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(٥) .**

وفى قصص أولياء الله : كأصحاب الكهف الذين اعتزلوا قومهم وسكنوا الغار .

يقول الله تعالى فيهم : **﴿ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا ﴾(٦) .**

---

(١) هود : ٤٧
(٢) الكهف : ٢٨
(٣) المسد : ١
(٤) التوبة : ١١٣
(٥) الممتحنة : ٤
(٦) الكهف : ١٦

وكامرأة فرعون : ﴿ **اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾(١) .

**

وثانيها ـ غرس الثقة بهذا الدين فى نفوس المسلمين :

فان موالاة هذا الدين لابد أن تصدر عن قناعة بربانيته ، وكماله ووعد الله بنصره واظهاره . قال تعالى: ﴿ **ان الدين عند الله الاسلام** ﴾(٢)

وقال : ﴿ **ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾(٣) .

وقال عن أمة الاسلام : ﴿ **كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾(٤) .

وقد وعد عز وجل بالنصر لهذا الدين ولهذه الأمة فقال :

﴿ **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾(٦) .

وهو القائل سبحانه : ﴿ **ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾(٧) .

والقائل . ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** ﴾(٨) .
﴿ **ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم** ﴾(٩) .

---

(١) التحريم : ١١
(٢) آل عمران : ١٩
(٣) المائدة : ٥٠
(٤) آل عمران : ١١٠
(٥) الصف : ٩
(٦) الروم : ٤٧
(٧) الحج : ٣٨
(٨) النساء : ١٤١
(٩) محمد : ١١

وحين ندرك حقيقة الاســلام على هــذا النحو فان هذا الادراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الاسلام فى ثقة وقوة وفى عطف كذلك ورحمة .. ثقة الذى يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ما عليه الناس هو الباطل(١) .

* *

وثالثها — بيان بطلان ما خالف الاسلام . ورد شبه الأعداء :

قال الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(٢) .

وان أعداء الاسلام فى كل عصر يستهدفون صرف الناس عن الهدى وصدهم عن الحــق . ويسوؤهم دائما أن يستجيب البشر لدعوة الله ويتبعوا منهجه القويم ، ويتخذون لبلوغ أغراضهم السيئة وســائل شتى من الدس والتشويه والتشكيك ، ولا يتوانون أبدا عن خطتهم المــاكرة المدمرة فى تفريق الصــف المؤمن وتمزيق وحــدته وتوهين قوته وفك ارتباطه بدعوته .

وان من طبيعة رســالة المسلمين وحقيقــة وظيفتهم توجب عليهم أن لا يكونوا فى عزلة عن سير الحياة فلا يليق بهم أن يعيشــوا على هامشها أو ينأوا عن معركتهم فيها فشمت اليوم نظم وتيــارات ومذاهب واتجاهات ينبغى أن تحــدد موقفنا منها على هدى من نور الله وعلى بصيرة من شريعتنا الغراء .

فى ضوء هذه الحقيقة ينبغى أن يخوض أبناء هذه العقيدة معركتهم فى كل جانب من جوانبها .. معتصمين بحبل الله واثقين بأحقية مبادئهم وصحة مقاييسهم(٣) .

---

(١) معالم فى الطريق — سيد قطب ، ص ١٥٣

(٢) آل عمران : ٨٥

(٣) لمحات فى الثقافة الاسلامية — عمر الخطيب ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

يقول الله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين** ﴾(1) .

**

ورابعها ـ احياء عقيدة الجهاد فى قلوب المسلمين :

فان الصورة المثالية الرفعية للمؤمن لا تكتمل الا بالجهاد فى سبيل الله والجرأة فى ايصال كلمة الله الى عباد الله دون خوف من لوم اللائمين من أهل الشر والفساد الذين يسوؤهم دائما أن يكون الناس مع الحق وعلى الحق(2) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق »(3) . اذا هذه العقيدة هى التى يجب أن تكون مظهر الولاء لهذا الدين ، والصفة المميزة لأهله .

يقول تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ (4) .

ولا بد لتلك المسيرة من بيان عداوة الكافرين للمؤمنين أولا :

بقوله تعالى : ﴿ **ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾(5) .

---

(1) البقرة : 146 ، 147 .
(2) مع العقيدة والحركة والمنهج ـ على عبد الحليم محمود ص 149
(3) صحيح مسلم ج 3 ص 1517 ، 1910 .
(4) المائدة : 54 .
(5) الممتحنة : 2

وبما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدوركم اكبر ، قد بينا لكم الآيات ، ان كنتم تعقلون** ﴾(١) .

وبأنها عداوة لا تستثنى قرابة ولا ترعى عهدا ، كما قال تعالى :

﴿ **كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة، يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون** ﴾ (٢) .

ولا تشترط فى خصمها شيئا أن يكون مؤمنا ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، واولئك هم المعتدون** ﴾(٣) .

وبيان فضل الجهاد فى سبيل الله وما وعد به المجاهد من الحسنيين.

ثانيا — بقوله تعالى : ﴿ **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص** ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون** ﴾(٥) .

وبوعده الصادق فى قوله تعالى : ﴿ **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد** ﴾(٦) .

وبقوله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(٧).

---

(١) آل عمران : ١١٨ .
(٢) التوبة : ٨ .
(٣) التوبة : ١٠ .
(٤) الصف : ٤ .
(٥) آل عمران : ١٦٩ .
(٦) غافر : ٥١
(٧) صحيح البخارى : ص ٢٧٩٠ عن ابى هريرة ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٠١ ، ١٨٨٤

ورد كل فرية وكشف كل شبهة يثيرها الأعداء حول الجهاد الاسلامى.

ثالثا ــ كفرية انتشار الاسلام بالسيف ، بقوله تعالى :

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾(١) .

وكشبهة الدفاعية الذليلة لمشروعية الجهاد ــ بحيث يصير الاسلام هدفا لكل رام يتعلم فن الرماية ، وآخر أمره الى التصدع والانهيار بقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾(٢) .

ــ ان الجهاد الاسلامى هو حقيقة الولاء الصادق ، يقول الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾(٣)

﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾(٤) .

* * *

(١) البقرة : ٢٥٦ (٢) الأنفال : ٣٩ .
(٣) النساء : ٧٦ . (٤) المائدة : ٥٦ .
وانظر : الأخوة الايمانية ــ ابراهيم بن محمد آل سلطان ، ص ٤٤ــ٥٣

المبحث الثانى

العبادات وأثرها فى تقوية روابط الاخوة :

لقد كان هدف الدين الاسلامى من وقت أن بدأت أنواره تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مجتمعا متضامنا متآلفا ، وكان من أهدافه المثلى أن يربط بين متبعيه بأسمى علاقات الود والتعاون والاخاء ، وأن يزيل من نفوس أهل الجاهلية ما ركز فيها من الحمق القاتل والعصبية البغيضة والعنصرية الهوجاء ، جاء هذا الدين ليسوى بين الناس ويرفع من شأنهم حتى يحس كل فرد منهم بالكرامة الآدمية ، جاء ليبعث نور الهداية السماوية فيبدد ظلام الغى والضلال .

خرجت هذه الشريعة على العالم تبعث قسمات المحبة والألفة لتقضى على ما كمن فى النفوس من البغض والكراهية ، لقد كان العالم فى حاجة ملحة الى هذا الدين ليرفع عن كاهله عبء النحل المختلفة والنظم البشرية المبتكرة والفلسفات المصطنعة ، تلك الأوضاع التى عانى منها المجتمع البشرى كثيرا حتى أصبح أهله كالشياه العجفاوات فى الليلة المطيرة ضلت طريقها ، وفقدت مرشدها ، ونأت كثيرا عن مأواها فتخطفتها الأيدى العابثة لتلقى بها فى خضم المنافع الشخصية ، بباعث من الأنانية وحب الذات ، كان العالم فى هذا الحين بعيدا عن هداية سماوية ترتقى بنفسه الى مدارج الكمال الروحى ، لقد أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فاقدا الناصح الأمين والمرشد الملهم ، عاش العالم فى تلك الفترة ، القوى فيه يفتك بالضعيف الذى عدم وسيلة الدفاع أو الانتصار ، والصحيح فيه ينسى حق المريض الذى فقد وسيلة الصحة والعلاج ، وقد تفنن الأذكياء فى تسخير الجهلاء لأغراضهم الشخصية ، وحدثت الانقسامات بين الناس ووجدت بينهم الفوارق الطبقية من سيد ومسود ، حر وعبد ، حاكم ومحكوم ، ذكر وأنثى ، أبيض وأسود ، هذا من عنصر وذاك من آخر

مما تولد عنــه الصراع النفسى الضعيف كالجذوة الهادئة التى لا تلبث أن تشتعل عند هبوب أية عاصفة مما ترتب عنه وجود المشاكل العالمية والصراعات البشرية التى أودت بوحــدة العالم وقضت على ما بينه من وشائج وقطعت رباط الألفة بين أبنائه . من أجل ذلك كله وغيره كان العالم ينتظر بلهفة وشوق وجود شريعة تخلصه من تلك الاحن ، وهــذه العثرات ، وترتقى به فوق مستوى هذه الترهات ، فكانت شريعة الاسلام تنتظر دورها حينئذ لتشفى الغليل وتهدى السبيل ، وتقضى على هــذا الشر الوبيل ، وكانت هى المخلص الوحيــد للعالم من أغــلال الشرك والعبودية والعنصرية والطائفية والطبقية ، فنزل دستور السماء من رب العــالمين ليشرح للناس ما هم فى حاجة اليــه واتخذ طريقه فى الوجود ليؤدى مهمته التى جاء من أجلها بكفاية منقطعة النظير ، واتبع كل السبل الممكنة التى تهدف الى وحدة الصف وجمع الشمل وتقوية الروابط ، وايجاد الألفة ونشر المساواة ، ووضع الأسس الصحيحة للأخوة الايمانية الصادقة ، وكان القصد من وراء ذلك تطهير المجتمع الانسانى مما كان قد علق به من أدران التخلف والانحلال واقالته من عثرته ، وازاحة ذلك الكابوس الذى جثم على صدره ردحا من الزمن ، والقرآن فى مهمته السامية تلك يضع المنهج الخليق بالاصلاح المنشود .

لقد شرع الله سبحانه وتعالى ما هو أساس لصرح الاسلام وقواعد لا يكمل الا بها ، وكانت هذه الأسس وتلك القواعد من أقوى العوامل التى تؤدى الى ترابط المجتمع وتماسكه واقامة علاقة الاخاء بين أبنائه ، من هــذه التشريعات ما هو أســاس لصحة الأعمــال وقبولها كالنطق بالشهادتين والاعتقاد الصحيح بمدلول هذا اللفظ ، ومنها ما هو بدنى يصل الانسان بخالقه ويقوى علاقته باخوانه المؤمنين كالصلاة ، ومنهــا ما هو روحى يعمل على تصــفية القلوب ونقائها ويبعث على الشــفقة والعطف بالفقراء والمحتاجين كالصيام ، ومنها ما هو مالى يعمل على تصفية النفوس من الشــح والبخل والطمع ، ويقيم فيما بين الأفراد التكافل الاجتماعى كالزكاة ، ومنهــا ما يجمع بين النواحى البدنية والروحيــة

والمـــالية كالحج • ومن هــذه التشريعات ما يتكرر كل يوم ومنهـــا ما يأتى كل عام ومنهـــا ما يكون على حسب المواسم ، ولكن هــدف الجميع واحد ، صلة الانسان بخالقه وصلته بأخيه الانسان ، وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم هــذه التشريعات وأعدها أساسا للاســـلام الصحيح فى قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاســلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقام الصــلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »(١) •

وسأتناول هذه التشريعات كلا منها على حدة مبينا أثره فى ترابط المجتمع وارساء علاقة الود والصفاء والحب والاخاء بين أفراد المجتمع مدللا على أن التشريع الاســلامى هو الأوحد فى تكوين مجتمع مؤمن خليق بالتكريم الذى حباه اياه رب العالمين حينما قال لأمة الاسلام :

﴿ كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ••• ﴾(٢) •

● الصــلاة وأثرها فى وحدة المجتمع :

هى عبادة بدنية يخلص فيها المؤمن الى ربه ويتعلق روحه بخالقه حينما يقف بين يدى مولاه خمس مرات فى كل يوم وليلة فهى رحــلة قدســية الى مدارج العبــودية الصادقة لله ســبحانه وتعالى ، وهى من القواعد الأساسية المكونة لصرح الاســلام ، عرض لها القرآن الكريم من نواح شتى تكلم عنها باعتبارها عبادة قديمة أمر بها رسل الله السابقون ودعوا اليها أقوامهم ، فأبو الأنبياء ابراهيم عليه الســلام حين يذهب بزوجه هاجر وابنها اسماعيل الى المكان الذى أمره ربه أن ينزلهما فيه يدعو ربه بما حكاه القرآن قائلا : **﴿ ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾(٣) •**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ١٧٧

(٢) آل عمران : ١١٠ (٣) ابراهيم : ٣٧

ويعهد الله الى ابراهيم واسماعيل بتطهير البيت الحرام حتى يكون معدا لاقامة الصلاة فيه **« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود »(١) .**

ثم ان اسماعيل عليه الصلاة والسلام يصفه ربه بأوصاف السمو والكمال البشرى ومن هذه الأوصاف أنه يأمر أهله بالصلاة : **« واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »(٢) .**

وأمرت مريم البتول صديقة بنى اسرائيل بأداء الصلاة : **« يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »(٣) .**

وعيسى ابنها تحدث عن وصية الله له بما حكاه القرآن قائلا :

« قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا »(٤) .

هذا الحديث عن الصلاة يظهر لنا أن هذه العبادة كانت منذ أمد بعيد ، وهذا يوضح لنا أهميتها فى تكوين الشخصية الايمانية التى تعد لبنة صالحة فى ذلك المجتمع الكبير .

وتحدث القرآن عن الصلاة فى الشريعة المحمدية ونظر اليها بعدة اعتبارات فهى من أوصاف المتقين : **« ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »(٥)**

وفلاح المؤمن لا يتحقق الا بمحافظته على الصلاة وخشوعه فيها :

« قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون »(٦) .

---

(١) البقرة : ١٢٥
(٢) مريم : ٥٤ ، ٥٥
(٣) آل عمران : ٤٣
(٤) مريم : ٣٠ ، ٣١
(٥) البقرة : ٢ ، ٣
(٦) المؤمنون : ١ ، ٢

... الآيات الى قوله : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾(١) .

وهى من عناصر الاستعانة على مدلهمات الأمور : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين** ﴾(٢) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر هرع الى الصلاة ، واذا ما اشتدت به المشاغل الدنيوية وجد فى الصلاة راحة ومتنفسا فيقول لمؤذنه : « أرحنا بها يا بلال » ، وثمرة الصلاة الى جانب ذلك أنها ترقق القلوب وتطمئن النفوس وتبعد المؤمن عن حياة الفحش وارتكاب المنكرات وتخلقه بالأخلاق الطيبة ، بقوله تعالى ﴿ **واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾(٣) .

واذا كانت طبيعة النفس الانسانية تجمح غالبا الى الشرور وعدم الرضا بالواقع والى الأنانية وحب الذات ، فان الصلاة تهذب هذه النفوس وتصقلها وتخلقها بالأخلاق الفاضلة :

﴿ **ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾(٤) .

وأى انسان لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فايمانه ناقص وصلاته لم تثمر ثمرتها .

والذين يتهاونون فى هذه الفريضة ويقصرون فى أدائها فمآلهم سوء العاقبة : ﴿ **ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى اتانا اليقين** ﴾(٥) .

---

(١) المؤمنون : ٩ — ١١
(٢) البقرة : ١٥٣
(٣) العنكبوت : ٤٥
(٤) المعارج : ١٩ — ٢٣
(٥) المدثر : ٤٢ — ٤٧

ويقول تعالى : ﴿ **فلا صدق ولا صلى . ولكن كذب وتولى . ثم ذهب الى اهله يتمطى . اولى لك فاولى . ثم اولى لك فاولى** ﴾(١) .

كمـا نعى القـرآن على الذين يسهون عن الصـلاة بقـوله :

﴿ **فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾(٢) .

ثم ان واقع الصلاة وما تستوجبه يدل دلالة واضحة على سـمو هدفها ونبل غايتها ، فما قبل الصلاة والطهارة من وضوء أو غسل عامل قوى من عوامل النظـافة التى تبعث على الألفة والمحبـة والائتناس ، فالانسـان النظيف فى مظهره وفى مخبره محبوب مرغوب فيه لا ينفر منه أحد ولا يتقزز منه انسـان ، لذلك كان الطهور شطر الايمان .

والصـلاة فى مظهرها وحقيقتها نمط كامل من الوحدة والترابط ، فكل المصلين يتجهون الى قبلة واحدة على اختلاف أماكنهم وأوطانهم ، يتجه الجميع من شتى بقاع الأرض الى أول بيت بمكة وضعه الله سبحانه وتعالى قبلة للمسـلمين ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شـطره ..** ﴾(٣) .

والصلاة فى جماعة خير من صـلاة الفرد لأنها مثال للترابط بين المسـلمين ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« صـلاة الجماعة تفضل صـلاة الفذ بسـبع وعشرين درجـة »(٤) وفى رواية : «بخمسة وعشرين جزءا» ، فالمصلون يقتدون بامام واحد وقد وقفوا صـفوفا متراصة ذابت بينهم الفوارق الدنيوية ونسى كل مركزه المـادى لأنهم جميعا فى حضرة قدسية عظيمة .

---

(١) القيامة : ٣١ ــ ٣٥ (٢) المـاعون : ٤ ، ٥
(٣) البقرة : ١٤٤
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ١٥٢

والعيد الأسبوعى للمسلمين هو يوم الجمعة حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين فى بيوت الله يستمعون الى الخطبة ويتعلمون منها ما يذكرهم بأمر دينهم ومعاشـهم ، وهو مظهـر فى غاية الجمـال والاجـلال :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »(1) .

واذا التزم المؤمن بآداب الجمعـة وأقام سـننها من غسل وتطيب وعدم التفريق بين الناس والانصات الى الامام فان ذلك سبيل الى مغفرة الذنوب . عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر ثم ادهن أو مس من طيب ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له ، ثم اذا خرج الامام أنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى »(2) .

ومن مظاهر الوحدة الاجتماع القوى بين المسلمين فى عيدى الفطر والأضحى وما يتصل بذلك من عوامل الألفة والمحبة فى هذين اليومين ، وهناك بعض الصلوات الأخرى التى لا تتم الا فى جماعة .

بذلك ندرك أهمية الصلاة فى تكوين وحدة المسلمين وتقوية العلاقة الطاهرة فيما بينهم فهى سبيل الى التعارف والتعاون والتآلف ، يجتمع المسـلمون فى مكان واحد يعرف كل منهم الآخر ويتعرف على مشاكله ويساعده فى حلها ويقف الى جانبه ليساعده فى مختلف الظروف .

ان ذلك من المقاصد السامية لهذا الركن من أركان الاسلام لننظر متدبرين كيف كانت الصلاة سبيلا الى تطهير قلب الفرد ونظافة ظاهره ، وعاملا على وحدة المسـلمين وتقوية روابط الألفة فيما بينهم ، وهدفا الى توثيق العلاقات بين المسـلمين .

* * *

---

(1) الجمعة : 9
(2) صحيح البخارى جـ 2 ص 9 ، صحيح مسـلم بشرح النووى جـ 6 ص 146

● الزكـــاة :

هى ركن من أركان الاسلام ودعامة من دعائم الدين أوجبها الله تعالى على كل من ملك نصابها المقدر شرعا وهى عامة فى كل الممتلكات فى العين كالذهب والفضة ، وفى الحرث كالقمح والشعير وسائر الحبوب، وفى المــاشية كالابل والبقر وغيرها ، وفى عروض التجارة وغير ذلك من مصادر الانفاق الأخرى ، وتؤدى فى مصارفها الشرعية ، وأول هذه المصارف : الفقراء والمساكين .

وقد تعرض القرآن لذكر الزكاة أكثر من خمسين مرة ، وكثيرا ما يأتى مقرونا بالأمر باقامة الصلاة ، ونظرا لأهمية هذا الركن الأساسى فى الدين أمر به أهل الشرائع السابقة وذلك كما جاء فى وصية الله لعيسى بقوله : **﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾(١)** .

وكان اسماعيل عليه السلام يأمر بها أهله بجانب الأمر بالصـــلاة فى قوله تعالى **﴿وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾(٢)**.

وأخذ الله الميثـــاق على بنى اسرائيل أن يقيموا الصـــلاة ويؤتوا الزكاة بقوله تعـــالى : **﴿ واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للنـــاس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾(٣)**.

وفى شريعة الاســـلام أمر بها فى كثير من المواضع القرآنية فى مثل قوله تعالى : **﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير ﴾(٤)** .

وقـــد امتدح الله المزكين الذين يصـــونون أنفسهم من البخـــل والشره ، وأصـــبح دفـــع الزكاة عندهم أمرا عاديا يقول الله تعـــالى :

(١) مريم : ٣١ — (٢) مريم : ٥٥
(٣) البقرة : ٨٣ — (٤) البقرة : ١١٠

﴿ والذين فى اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم ﴾(١) .. الى غير ذلك من الكثير من الآيات التى تضمنها القرآن الكريم وهى تحث على اقامة هذا الركن المهم من أركان الاسلام .

والزكاة فريضة على الأغنياء وهى حق للفقير فلا تسول للأغنياء أنفسهم أن يمتنوا على الفقير بما يقدمون له ، لأن المال مال الله ، والقرآن يقرر ذلك حينما يقول مخاطبا الأغنياء حاثا لهم على أن يساعدوا المكاتبين من عبيدهم كى يتحرروا : **﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ... ﴾(٢).**

والأغنياء مستخلفون فى هذا المال فعليهم أن يحسنوا الخلافة يقول الله تعالى : **﴿ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير ﴾(٣)** .

ويأمر الله الأغنياء أن يقدموا حق الزرع وقت الحصاد : **﴿ وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ﴾(٤)** .

بهذا المفهوم الرفيع يعرف الغنى وضعه فلا يتعالى على الفقير ولا يتكبر عليه بل يدرك أنه والفقير سواء الا انه يختلف عنه بما استخلفه الله عليه من هذا المتاع الدنيوى ، وحينئذ تسود بينهما علاقة الأخوة والصلة الطيبة ، والذين يستحقون الزكاة هم الفقراء المتعففون الذين يحسبهم من لا يعرف حقيقتهم أنهم أغنياء فهم لا يلحون فى السؤال وهم فى الوقت نفسه عاجزون عن الكسب فلديهم عذر المسألة ولكنهم يمتنعون عنها تعففا وصيانة لمياه وجوههم : **﴿ للفقراء الذين احصروا فى**

---

(١) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ — (٢) النور : ٣٣

(٣) الحديد : ٧ — (٤) الانعام : ١٤١

سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحاقا ، وما تنفقوا من خير فان الله بـه عليم ﴾(١) .

*** ***

● **الزكاة سبيل الى تطهير النفوس واذابة الفوارق وايجاد مبدأ المساواة :**

ان هذه الفريضة من العوامل القوية فى تصفية النفوس وتطهيرها وزرع المحبة بين الأفراد وغرس روح المودة بينهم يقول الله تعالى :
﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. ﴾(٢) .

والزكاة تقضى على الفوارق التى تملأ المجتمع حقدا وكراهية وتسبب فى قطع وشائج القرب بين أبنائه ، بها يحس الفقير أن الغنى والتمتع ليس حكرا على لفيف من الناس وغيرهم يعيش فى عناء البؤس والحرمان بل ينتهى كل ذلك وتلتقى الأحاسيس المؤمنة وقد نسيت تلك المظاهر الدنيوية وتعانقت بالحب والاخلاص ، بهذه الفريضة تموت الطبقية الاقتصادية القاتلة ويتواضع الأغنياء ويرتقى الفقراء وتزول من بينهم أسباب الفرقة وينشأ التكافل الاجتماعى بين الأفراد بحيث لا يعيش الغنى متمتعا بنشوة غناه غارقا فى كل الملذات المحببة لديه والفقير يظل محروما ، وانما يكفل الغنى بما يقدم لأخيه حياة طيبة سعيدة يرى فيها لذة العيش ونشوة الحياة . والزكاة نماء للمال وتطهير له اذ يحرص الفقير على أموال الغنى لأنه ينتفع بها فيصونها ويحافظ عليها ويدافع عنها ، ويذب بكل قواه عنها كيد المعتدين ، ويكون فى ذلك نماء لهذا المال ويبارك فيه ، والغنى يشعر بنتيجة بذله وانفاقه وعطائه فيستمر الانفاق ، وبذلك لا يوجد فى المجتمع بخيل ولا شره ولا جشع ، ولا يوجد حاقد أو مبغض ويظل المجتمع متماسكا متآلفا .

---

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) التوبة : ١٠٣

واذا كانت الزكاة تثمر هذه الثمرة مع أى فقير ما فان ثمرتها مع الأقرباء أعظم وآكد من الناحيتين الدنيوية والأخروية . عن اسحاق بن عبد الله بن طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكانت أحب أمواله اليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويتسرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما أنزلت هذه الآية : **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»**(١) ، قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ان الله تبارك وتعالى يقول : **« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »** وان أحب أموالى الى بيرحاء ، وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بخ .. ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت وانى أرى أن تجعلها فى الأقربين » . فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه(٢) . بذلك نعلم أن الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقة وصلة .

وهكذا تتضح لنا أهمية فريضة الزكاة للمجتمع الاسلامى .

* * *

● الصوم :

هو عبادة روحية يسمو فيها المؤمن بنفسه ويرتقى بروحه ويطهر قلبه ويراقب ربه ، وهى تصور الاخلاص الكامل لله تعالى فى أسمى معانيه ، وأساس هذه العبادة أن يحكم الانسان نفسه ويتملك غريزته ، ويصل بعزيمته الى أرفع مكانة لها فى القوة والثبات ، والصوم تهذيب للنفوس وتدريب لها على تحمل المشاق والامتناع عما تشتهيه وارتكاب المصاعب فى أداء ما طلب منها ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصوم

---

(١) آل عمران : ٩٢

(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٤٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ٢٨٧

فى القرآن الكريم فنادى المؤمنين وخاطبهم وألزمهم بها فى الفريضة وبين لهم عظم غايتها وهى التقوى ملفتا أنظارهم أن هـذه العبادة قد فرضها الله تعالى على الأمم السابقة فقال : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾(١) .

والتقوى التى هى غاية الصيام هى جماع أوصاف الخير كله ، وبهذا المفهوم الصحيح لغاية الصوم نستطيع أن ندرك حقيقته .

فالمفهوم اللغوى له « الامساك » وعند أهل الفقه : الامساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، واذا ما وقفنا بأفكارنا وادراكنا عند هذا المفهوم الفقهى فقط فان الصوم حينئذ لا يثمر ثمرته المرجوة ، ولكن كى نفهم الصوم على حقيقته وتتذوق حكمته النبيلة لا بد أن نعيش مع المفهوم اللغوى له وهو مطلق الامساك فيتناول الامساك عما أمر الله باجتنابه من الأمور المباحة وبذلك يصل بالنفس الى السيطرة عليها وكبت جماحها وتهذيبها . والامساك عن كل ما حرم الله فهو وان كان مطلوبا فى كل الأوقات فى الصيام وغيره ، لكنه يكون فى الصوم آكد ، وهو يصل بالنفس الى تطهيرها وتنقيتها وتزكيتها وحينئذ تقف على أهمية الصوم فى تنظيم العلاقات بين المؤمنين ، ويوضح هذا أكمل ايضاح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن أبى صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك » .

« وللصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه »(٢) .

---

(١) البقرة ١٨٣
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٨ ص ٣٠ ، ٣١ ، صحيح البخارى جـ ٣ ص ٣٤

فاذا وصل الصوم بصاحبه الى أن يصون نفسه عن الاعتداء على الآخرين بأى شكل ما ، بالقول أو بالفعل . وسيطر على نفسه كذلك حتى لا يقابل الاساءة بالاساءة بل يصفح ويعفو فانه حينئذ يكون قد وصل اخوانه المؤمنين بصلة الصفح والتغاضى عن الهفوات ويقوى بينهم علاقة الحب والوئام ، وقد صدق الله العظيم :

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ﴾(١) .

ومن ثمار الصوم فى توطيد علاقات المؤمنين أنه يغرس فى نفوس الأغنياء روح البذل والعطاء حين يحســون وهم صائمون بحاجتهم الى الطعام والشراب فيتسارعون الى اشباع الجائع ورى الظامىء وتكون النهاية التحاب والتعاطف المتبادل بين الأغنياء والفقراء .

وشهر رمضان يعتبر زادا روحيا للعالم كله حيث تســتمر آثاره العظيمة مع المؤمنين دائما ويؤدى ذلك الى صدق الايمان وتبادل التراحم والتواد بين أفراد المجتمع جميعهم .

* * *

● الحــج :

هو هذه الرحلة التى يقوم بها القادرون تاركين وراءهم ما تعلقت به نفوسهم من الأمور الدنيوية حتى المخيط من الثياب أو المحيط منها قاصدين البيت الحرام أول متعبد وضع للناس فى الأرض خرجت هذه الجموع الحاشــدة من مختلف بقاع الأرض متحملة المصاعب ولم تعبأ بما يصادفها من عناء الرحلة وقــد استجاب الجميع بقلوبهم لأمر الحق عز وجــل : **﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾(٢) .**

جاءوا الى هذا المكان ملبين دعوة الخليل ابراهيم عليه الصــلاة والسلام بأمر من الله عز وجل : **﴿ واذن فى النــاس بالحج ياتوك رجالا**

---

(١) فصلت : ٣٤ — (٢) آل عمران : ٩٧

وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. ﴾(١) .

ان هذه الفريضة بمثابة مؤتمر اسـلامى عام يجتمع فيه المسلمون من مختلف أنحاء المعمورة على تباعد أماكنهم وتباين لغاتهم واختلاف أجناسهم وتعدد ألوانهم ، ولكنهم جميعا اتحدوا فى المقصـد والهدف والغـاية ، مظهرهم ومخبرهم لتقوى فيما بين الجميع روح الأخـوة الاسلامية والتعاون على البر والتقوى ونبذ الاثم والعدوان ، ان الصورة التى يظهر بها هذا الجمع الغفير من الناس تعبر تعبيرا صادقا وتدل دلالة واقعة على أن هذا الدين شعاره المساواة .

ومناسك الحج كلهـا تجسـيد كامل لوحدة المسلمين ونشر روح المساواة بينهم فقد ترك كل وطنه بما فيه وتجرد لهذه العبادة فالجميع ضيوف الله يقصدون مكانا واحـدا هو ملتقى الجميع ونيتهم كذلك واحدة : أداء هذه الفريضة .

واذا كان المسلمون قد جاءوا من بلادهم والتقوا باخوانهم فعليهم أن يهتدوا بالقرآن فى معاملة بعضهم البعض حتى تتحقق الثمرة المرجوة من وراء هذه الرحلة الفريدة ، عليهم أن يزيلوا أسباب الخصام والفرقة وأن يطهروا نفوسهم ، وأن يباعدوا بينهم وبين المجـادلات التى تفضى غالبا الى الكراهية والشحناء ويعودوا الى بلادهم بعـد أداء فريضـة الحج اخوة متحابين .

ان الحاج المسلم حقيقة هو الذى اذا فارق اخوانه بجسده يظل متعلقا بهم بكل أواصر الألفـة والتعاون والتعارف ، وتكون تلك هى المنافع التى حظى بها ذلك الشخص الذى قصد بيت الله الحرام[٢] .

* * *

---

(١) الحـج : ٢٧ ، ٢٨

(٢) انظر : العلاقات الانسانية فى القرآن والسنة ـ مجاهد محمـد هريدى ، ص ١٥٧ ـ ١٩٠ (بتصرف) .

المبحث الثالث

الأخلاق الاسـلامية وأثرها على الأخوة

﴿ ان هـذا القـرآن يهـدى للتى هى أقـوم ﴾(١) .

وان من يتتبع القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجـد كثيرا من الأخلاق الاسلامية الكريمة ، التى تؤدى الى الانسان الكامل ، وسنذكر فيما يلى بعضـا من الآيات والأحاديث الخلقيـة ، التى تتعلق بالآداب الاسلامية ، والأخلاق المحمدية .

● **وصية لقمان عليه السلام لابنه فى الأخلاق :**

قال تعالى : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للنـاس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾(٢) .**

ففى هذه الآيات الكريمة نجد وصية من أب حكيم لابنه ، وهو أحب الناس اليه ، وفى تلك الوصية يوصيه باقام الصلاة فى أوقاتها المحددة لها ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وينصح له بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، بارشاد الخلق الى ما يصلح حالهم ، وينظم شئونهم ، ويقوم ما اعوج من أخلاقهم ، والصبر على أذى الناس ، وتحمل المشقات والآلام ، التى تحدث لمن يأمر بالفضيلة ، وينهى عن الرذيلة .

﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ : لا تعرض بوجهك عنهم اذا حدثتهم أو حدثوك استكبارا عليهم ، واحتقارا لهم ، بل تواضع للصغير منهم والكبير ، وكن لين الجانب معهم ، حتى يتبعوا ما تأمرهم به ، ويجتنبوا ما تنهاهم عنه .

﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان انكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

---

(١) الاسراء : ٩ (٢) لقمـان : ١٧ ـ ١٩

والمعنى المراد : اذا سرت فى الطريق فلا يكن سيرك خيلاء ، فان الله لا يحب كل مختال فخور متكبر ، ولا تبطىء فى مشيك ولا تسرع ، بل توسط ، فخير الأمور الوسـط . واذا تكلمت فأخفض صوتك ، ولا ترفعه زيادة عن الحاجة ، حتى لا تؤذى السامع ، ولا يكون صوتك منكرا قبيحا مثل صوت الحمير .

* * *

● **من خطبة للرسول فى حسن الأخلاق :**

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا اكتسـبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقـه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة . طوبى لمن زكت وحسنت خليقتـه وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة »[1] .

فالرسول الكامل يبشر بالخير من يشغل نفسـه عن عيوب الناس باصلاح ما لديه من عيوب ، ويبشر من ينفق ماله فى أوجه الخير والبر ، ومن يجالس العلمـاء والحكماء ، ويخالط الفقراء ، ويشجع من طهرت سريرته ، وحسنت سجيته وأخلاقه ومنع شره عن الناس ، وتصدق على المحتاجين بما زاد من ماله ، وقال خيرا أو سكت ، وتمسك بالسـنة وترك البدعة ، وهى الحدث فى الدين بعد الاكمال .

* * *

● **حسن الخلق من المبادىء الاسلامية :**

قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ان خياركم أحسنكم أخلاقا »[2] . فخير المسلمين أحسنهم خلقا ، وشرهم أقبحهم خلقا . ومن الأخلاق الاسلامية الحسنة : الوفاء ، والصدق والأمانة والايثار والشجاعة ، والكرم والاحسان والعفة والصبر والرحمة والزهد والتواضع

---

(١) صبح الاعشى جـ ١ ص ٢١٣

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٨١٠ ، ٢٣٢١

والاخلاص ، والحلم والحكمة وضبط النفس ، والعفو عند المقدرة .
ومن الصفات القبيحة التى ينكرها الاسلام : الغدر والكذب والخيانة والبخل والجبن والغيبة والنميمة والحقد والشره ، والكبر والغضب والحمق والانتقام ... قال عليه الصلاة والسلام : « ان من أحبكم الى ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا »[1] .

فالاسـلام دين الخلق الكريم ، وقد خاطب الله محمـدا صلى الله عليه وسـلم بقوله : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[2] .

وقد تخلق الرسول بأخلاق القرآن الكريم وآدابه ، ولهذا كان يقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[3] من شهامة واباء ، وعزة نفس ، وعلو همة ، واقدام ، ونزاهة ، وقناعة ...

* * *

● **حسن الخلق واثره :**

ان حسن الخلق يؤدى الى الألفة والمحبة ، وسوء الخلق يؤدى الى الكره والحسد . وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله ، وحسن الخلق »[4] .

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خير ما أعطى الانسان؟ فقال : « خلق حسن »[5] فخير صفة يتحلى بها الانسان هى حسن الخلق. وقال صلى الله عليه وسلم : « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن »[6].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فيطعمه النـار »[7] .

---

(١) الترمذى جـ ٤ ص ٣٧٠ ، ٧١ ، ٢٠١٨
(٢) القـلم : ٤
(٣) احمد والبيهقى والحاكم ــ مسند احمد جـ ٢ ص ٣٨١
(٤) الترمذى جـ ٦ ص ٢١٤ ، ٢٠٠٥
(٥) ابن ماجه جـ ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٠٧١
(٦) الترمذى جـ ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٠٧٠
(٧) ابن عدى والطبرانى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ، عليك بحسن الخلق » .
فقال أبو هريرة رضى الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟
قال : « تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك »[1] .

فحسن الخلق فى رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم هو النبل ، فالانسان الذى يصل من يقطعه ، ويعفو عمن يظلمه ، ويعطى من يحرمه يعد نبيل الأخلاق مؤمنا حقا .

ان روح الاسلام يستدعى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى كل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ويتقى الله حق تقواه ، ويفكر دائما فى النواحى الانسانية ، والأغراض النبيلة الاسلامية ، ويبتغى فى كل عمل ارضاء الله ، ويدعو الى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعين أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الاثم والعدوان ، ويخلص فى أقواله وأفعاله الاخلاص كله .

قال العزيز الحكيم : **﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾(٢) ، (٣) .**

ومن أتم حفاظ الاخوة تفقد الرجل أمور من يوده . والود الصحيح هو الذى لا يميل الى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمن كما أن البغضاء خوف . والعاقل لا يؤاخى الا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأى ووافق سره علانيته ، وليس الغرض من المؤاخاة الاجتماع والمواكلة والمشاربة ، فالسراق يتجمعون ويشتركون فى المأكل والمشرب ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التى يجب على المرء لزومها : مشى القصد ، وخفض الصوت وقلة الاعجاب ولزوم التواضع

---

(١) البيهقى فى شعب الايمان ، ومسند احمد جـ ٤ ص ١٤٨
(٢) آل عمران : ١٠٢
(٣) انظر روح الاسلام ــ محمد عطية الابراشى ، ص ٥٣ وما بعدها (بتصرف) .

وترك الخلاف ، وألا يكثر على اخوانه المئونات فيبرمهم ، وألا يمنعهم شيئا يحتاجون اليه ليجبروا به مصائبهم أو يفرجوا به كربتهم .

والعاقل لا يؤاخى لئيما لأن اللئيم كالحية الصماء ليس عندها الا اللدغ والسم ، ولا يصل اللئيم لأنه لا يؤاخى الا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يود الكريم على لقية واحدة ولو لم يلتقيا بعدها أبدا ، والحذر من لم يستصغر الجفوة اليسيرة لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع اليه صغيرا فاذا الصغير كبير .

وقد وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة حوت الكثير من أصول الأخلاق قال :

١ — ما كافأت من يعصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

٢ — ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك .

٣ — لا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محمـلا .

٤ — من تعرض للتهمة فلا يلومن من أسـاء به الظن .

٥ — من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

٦ — عليك باخوان الصـدق تعش فى أكنافهم ، فأنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء .

٧ — عليك بالصدق وان قتلك الصدق .

٨ — لا تعرض لمـا لا يعنيك .

٩ — ولا تسأل عما لم يكن ، فان فيما كان شغلا عما لم يكن .

١٠ — ولا تطلبن حاجتك الى من لا يحب لك نجاحها .

١١ — ولا تصحبن الفاجر فتعلم فجوره .

١٢ — اعتزل عـدوك .

١٣ — واحذر صديقك الا الأمين .

١٤ — ولا أمين الا من خشى الله .

١٥ — وتخشع عند القول .

١٦ — وذل عند الطاعة .

١٧ — واعتصم عند المعصية .

١٨ — واستشر فى أمرك الذين يخشـــون الله ، فان الله يقول : **﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(١) .**

وقال أبو حاتم : اللبيب لا يؤاخى الا ذا فضل فى الرأى والدين والعلم والأخلاق الحسنة وذا عقل نشأ مع الصالحين ، ومن أضاع تعهد الود من اخوانه حرم ثمرة اخائهم وآيس الاخوان من نفسه ، ومن ترك الاخوان مخافة تعاهد الود يوشك أن يبقى بغير أخ ، وليس من السرور شىء يعدل صحبة الاخوان ، ولا غم يعدل غم فقدهم .

* * *

● **التحبب الى الناس :**

فى الحديث المرفوع : « أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس » وفيه أيضا : « اذا أحب الله عبدا حببه أيضا الى الناس » ومما قيل فى هـــذا المعنى :

وجه عليه من الحيـــاء ســـكينة   ومحبـــة تجـــرى مع الأنفـــاس
واذا أحب الله يومـــا عبـــده   ألقى عليـــه محبـــة للنـــاس

وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما : « ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن ما لك عنـــد الله مثل ما للناس عندك » . وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له ومثل بين يديه : « ان هذا الأمر الذى صار اليك وفى يديك قد كان فى يدى غيرك ، فأمسى والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فتحبب الى عباد الله بحسن البشر وتسهيل الحجاب ولين الجانب ، فان حب عباد الله موصـــول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شـــهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله » .

---

(١) فاطر : ٢٨

وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحرم على النار كل هين لين قريب سهل » وقال بعض الحكماء : حرى بالعاقل أن يتحبب الى الناس بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق ، لأن الخلق الحسن يذيب النقائص كما تذيب الشمس الجليد ، وان الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون فى الرجل أخلاق كثيرة صالحة وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها .

وقال ابن عياض : اذا خالطت فخالط حسن الخلق فانه لا يدعو الا الى خير وصاحبه منه فى راحة ، ولا تخالط سيء الخلق فانه لايدعو الا الى شر وصاحبه منه فى عناء .

وقال بعض الفلاسفة : حسن الخلق بذر اكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بذر استجلاب البغضة . وقال أيضا : الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين :

أحدهما مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض فى الأرض فلا يكاد يراه أحد الا استثقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فاذا كان كذلك استحق الاستقال منهم .

ومن أعظم ما يتوسل به المرء الى الناس ويستجلب به محبتهم البذل لهم بما يملك من حطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى : فلو أن المرء صحبه طائفتان احداهما تحبه والأخرى تبغضه فأحسن الى التى تبغضه وأساء الى التى تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج اليهما — لكان أسرعهما الى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التى كانت تحبه ، وأسرعهما الى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التى كانت تبغضه[1] .

* * *

(1) انظر : الخلق الكامل — محمد احمد جاد المولى ج ٤ ص ٢٢٠ وما بعدها .

المبحث الرابع

التجاوز عن زلة الآخرين

ان غض الطرف عما يرى الانسان من عيوب مبدأ أخلاقى ، وأدب اجتماعى رفيع ، ولو أن كل انسان علم عيبا أو رأى خطأ فى غيره نشره وأشاعه بين الناس ما بقى انسان سليما من قالة السوء ، خصوصا اذا كان تجريح الآخرين مبنيا على الوهم والتخيل الفاسد كما هو شأن الكثيرين .

وفى الناس طوائف لا هم لها الا تصيد الأخطاء بحق أو بغير حق لنشرها بين الناس من أجل تنقيص الغير واشاعة الريب من حواه .

ولو أدرك المتسلطون بألسنتهم على أهل الاسلام وجنده خطورة ما يفعلون لكفوا عما يقولون . وتابوا مما يلمزون ويطعنون .

ولو كان لهم فقه فى دين الله ، وادراك لخطورة ألسنتهم . وما يشيعون ضد اخوانهم لشعروا بالخزى وتأنيب الضمير .

ولو خافوا ربهم واتقوا عذابه وخزيه لهم يوم القيامة ما وقعوا فى أعراض غيرهم ، وما استباحوا ما حرم الله تعالى من اشاعة السوء عن اخوانهم المسلمين .

ان الله تعالى توعد الذين يحبون أن تشيع قالة السوء فى المؤمنين بالعذاب الأليم فقال :

﴿ أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾(١) .

والذين يحرصون على فضح غيرهم ، وفقد الثقة فيهم يؤذون هذا الغير ايذاء منكرا يستحقون عليه عذاب الله تعالى ان لم يثبت صدق ما يشنعون به ، قال تعالى :

---

(١) النور : ١٩

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »(1) .

فان قالوا : اننا نؤذى من كسب سيئة ووقع فى خطأ ، قيل لهم : وأى انسان هو برىء من الخطأ ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خطاء » ؟

ومن أذن لكم فى ايذائه ؟

ان المعصوم من الخطأ هو الرسول فقط ، وأما غير الرسل فهم عرضة للخطأ فى كل حين ، ولو فتش العيابون لظهر أنهم يقترفون من الآثام ما لا يطاق ولا يسمح بذكره ، ولو كانت طواياهم سليمة ما تتبعوا عورات الناس وأخطاءهم ، وقد علموا خطورة هذا الفعل الشنيع .

ان المسلمين مطلوب منهم أن يستروا أخطاء غيرهم ولو كانت فاحشة منكرة الا فى حالات خاصة منها :

١ ـ أن مرتكب الفاحشة يجهر بها ويعلنها تفاخرا ووقاحة .

٢ ـ أو أن يفعلها على ملأ من الناس وعلم منهم .

٣ ـ أو أن تكون الفاحشة قد انتشرت فى الأمة واجترأ عليها الناس .

٤ ـ أو أن تكون حقا فى النفس أو فى المال يجب عليه أن يشهد به حتى لا تهدد النفوس وتضيع الأموال .

وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة فى الستر مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة »(2) .

---

(1) الأحزاب : ٥٨

(2) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٢ ، ٢٥٩٠ .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة »[2] والموءودة هى البنت التى كانت تدفن بعد الولادة حيـــة لتموت .

قال الامام النووى فى شرح مسلم عند حديث : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة » : «وأما الستر المندوب اليه هنا فالمراد به الستر على ذوى الهيئات (أهل الفضل) ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد ، وأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يســتر عليه ، بل ترفع قضيته الى ولى الأمر ان لم يخف من ذلك مفســدة ، لأن الستر على هذا يطمعه فى الايذاء والفســاد وانتهاك الحرمات ، ويؤدى الى جسارة غيره على مثل فعله .... وهذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس فتجب المبادرة بانكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ، فلا يحل تأخيرها ، فان عجز لزمه رفعها الى ولى الأمر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة » .

وقد ذكر المهدوى فى تفسيره : انه لا ينبغى لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين فان اطلع منه على ريبة (ذنب) وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعـالى[3] .

وأخرج أبو داود والنســائى عن ذخير أبى الهيثم كاتب عقبــة ابن عامر رضى الله عنه قال : قلت لعقبة بن عامر : ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ، قال : لا تفعل وعظهم وهددهم، قال : انى نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ، قال : ويحك لا تفعل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر عورة .... » الى آخر الحديث بمعناه السابق .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسابورى جـ ٤ ص ٣٨٤
(٢) أبو داود جـ ٥ ص ٢٠٥ ، ٤٨٩١
(٣) الآداب الشرعية جـ ١ ص ٢٢٦

وأخرج هناد والحارث عن الشعبى أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ان لى ابنة كنت وأدتها فى الجاهلية ، فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الاسلام فأسلمت ، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها (عروق الذبح فى العنق) فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة ، وهى تخطب الى قوم ، فأخبرتهم من شأنها بالذى كان ، فقال عمر : أتعمد الى ما ستر الله فتبديه (تظهره) ، والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا (عبرة) لأهل الأمصار ، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة .. (كذا فى الكنز) .

وأخرج البيهقى عن الشعبى قال : جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين ، انى وجدت صبيا ووجدت قبطية (ثوب من ثياب مصر رقيق) فيها مائة دينار ، فأخذته واستأجرت له ظئرا (مرضعة) وأن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه ، لا أدرى أيتهن أمه ؟ فقال لها : اذا أتينك فأعلمينى . ففعلت ، فقال لامرأة منهن : أيتكن أم هذا الصبى ؟ فقالت : والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر !! تعمد الى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها ؟ قال : صدقت ، ثم قال للمرأة : اذا أتينك فلا تسأليهن عن شىء ، وأحسنى الى صبيهن ، ثم انصرف .. (كذا فى الكنز ــ وذكر تلك القصص صاحب حياة الصحابة جـ ٢ ص ٧٣٠) .

وستر المسلم واجب فى حالات مثل حالة الزنا التى لم يتم فيها عدد الشهود أربعا ، وحالة ما اذا كان الذنب يخص المذنب لا يتعداه الى غيره ، ونشره يعتبر فضيحة وخزيا ، وحالة ما اذا كان النشر يؤدى الى فساد أكبر أو الى فتنة بين الناس ، وفى حالة ما اذا كان سببا فى فقد الثقة فى انسان ينتفع الناس بالثقة فيه ، وفى حالة ما اذا كان المذنب سائلا يبحث عن حكم الشرع فى ذنبه وكيف يتوب منه ... الخ .

كما يجب على المسلم اذا أذنب ذنبا أن يستر ذنبه ولا يستعلن به ، ولا يحدث به الناس الا اذا كان مستفتيا أو طالبا اقامة الحد على نفسه

فيعترف بذلك للحاكم ، لأن الجهر بالمعصية معصية ، حيث ان الجهر بها يشجع الآخرين على الوقوع فيها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه »[1] .

ومعنى الحديث أن الله تعالى يعفو عمن أذنب ولا يؤاخذه بذنبه الا اذا أعلن الذنب وجهر به ، أو تحدث به عند انسان يعلمه ويجاهر به .

وقد ذكر النووى أن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به لأنه كشف نفسه .

وقال ابن بطال : فى الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ، وحق رسوله ، وحق صالحى المؤمنين ، وفيه ضرب من العناد لهم ، وفى الستر بها السلامة من الاستخفاف ، لأن المعاصى تذل أهلها ، والسلامة من اقامة الحد عليه ان كان فيه حد ، ومن التعزير (التأديب) ان لم يوجب حدا ، واذا تمحض حق الله تعالى فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه ، ولذلك اذا ستره فى الدنيا لم يفضحه فى الآخرة ، والذى يجاهر به يفوته جميع ذلك[2] .

واذا كانت الغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره وان كان فيه ذلك ، فان فضيحة أى مسلم بغير مبرر شرعى تعتبر غيبة[3] .

* * *

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٩١ ، ٢٩٩٠ .

(٢) ملخصا من فتح البارى — ابن حجر العسقلانى ج ١٠ ص ٤٠٥

(٣) السلوك الاجتماعى فى الاسلام — حسن أيوب ، ص ٣١٤ ، ٣١٥

الفصل الرابع

ثمار الأخوة في الله

المبحث الأول – الثمار الدنيوية العاجلة :

١ – المحبة :

جاء الاسلام بالأخوة الايمانية فوحد المسلمين وساوى بينهم . فكان من آثار هذه المساواة الانسانية والوحدة الايمانية قيام جسر متين من المحبة بين المؤمنين يعبر الى قلب كل موحد لله مؤمن بالاسلام .

– وقيام هذا الجسر الودى كان أثرا طبيعيا لعقيدة الايمان[١] . فان وحدة الفكر والمنهج والهدف تخلق ميلا عاطفيا .

وللنظرة الاسلامية الى الانسان أثرها فى ذلك ، فان انسانا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وجعله خليفة فى أرضه واستعمره فيها وكرمه بشرعه وشرفه بعبادته ، جدير بالمحبة والتكريم .

– لذا جعل الاسلام هذه المحبة قيدا فى الايمان فقال عليه الصلاة والسلام : « لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا »[٢] ومنعها مع الكفار ، فقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾[٣] .

وهى ثمرة الأخوة ، والأخوة ثمرة الايمان ، فالمحبة ثمرة للايمان[٤] فكانت الأخوة والمحبة قبسين خرجا من مشكاة واحدة .

---

(١) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده – فتحى الدرينى ص ٢٢٧
(٢) عن أبى هريرة (صحيح مسلم ج ١ ص ٥٤ ، ٧٤) .
(٣) الممتحنة : ١
(٤) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده – فتحى الدرينى ص ٢٢٧

ـــ فلا بد أن تكون تلك المحبة خالصة لله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »[1] .

والمحبة بين المؤمنين تمثل الجانب القلبى فى علاقة الأخوة الايمانية وهو الجانب المؤثر فى غيره من الجوانب الفعلية الحركية فيخلق التعاون والتناصر والتناصح والتسامح .

ان أدنى مراتب هذه المحبة هى المشاركة الشعورية :

ـــ من الانتماء الى الحزب المؤمن والانتساب له ـــ ونعم النسب .

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** ﴾(٢) .

فاذا وقف المسلم بين يدى الله ليناجيه ويتضرع اليه لم تجر العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه بل كطرف من مجموع متسق مرتبط ، يقول ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾(٣) . لا : اياك أعبد واياك أستعين !![4] .

ـــ والشعور بالمساواة : مع المؤمنين ، فلا استعلاء ولا غمط لمسلم ، يرى المسلمين كأسنان المشط وهو كواحد منها ـــ لا يتطاول عليها . وهذا المعنى زرعه الاسلام فى قلوب أهله ، فكانت خطاباته تتناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد ، ثم من الدرس الذى يلقى على الجميع يستمع الفرد وينتصح[5] .

---

(١) صحيح البخارى ص ١٦ ، صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣ ، ٦٦

(٢) فصلت : ٣٣ (٣) الفاتحة : ٥

(٤) خلق المسلم ـــ محمد الغزالى ، ص ٢١٧

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وحين يسأل الله من خيره لا يختص نفسه بالدعاء ، فيطلب الهداية له ولغـيره : **﴿اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾(١)** .

ويسلم على اخوانه المؤمنين كما سلم على نفسه فى تشهد الصلاة . « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

ـــ وحب الخير للمؤمنين والفرح به لهم . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسـه »(٢) وهذا يدل على سر التعبير بالنفس فى قوله تعالى : **﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم ﴾(٣)** .

ولذا حذر الاسلام من الحسد تحذيرا شديدا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اياكم والحسـد فان الحسـد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ـــ أو قال : الخشب »(٤) .

ـــ والتألم للشر يصيب المؤمنين وكراهيته لهم . قال الله تعالى متوعدا من يسره السوء والمعصية تقع فى المسلمين **﴿ ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾(٥)** .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمـه الله ويبتليك »(٦) .

---

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧

(٢) صحيح البخارى ص ١٣ ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٥ ، ٦٧

(٣) النور : ٦١

(٤) أبو داود (٤٩٠٣) جـ ٥ ص ٢٠٨ ، ابن ماجه (٤٢٦٣) عن انس .

(٥) النـور : ١٩

(٦) الترمذى (٢٥٠٨) عن واثلة بن الأسقع .

ـ وأقل أحوال هذا الشعور الودى السلامة من الحقد والطهارة من الغل للمؤمنين • قال الله تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنـا ولاخواننا الذين سـبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غـلا للذين آمنوا ربنـا انك رءوف رحيـم ﴾(1) •

وهذا ثناء عطر من الله على المؤمنين الذين صفت قلوبهم وسلمت من أى حقد على مؤمن • عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه فى يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : انى لاحيت أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت ، قال : نعم • قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار وتقلب على فراشـه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر • قال عبد الله : غير أنى لم أسـمعه يقول الا خيرا ،فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت : يا عبد الله ، انى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثم ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار : «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوى اليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسـلم ؟ فقال : ما هو الا ما رأيت • قال : فلما وليت دعانى فقال : الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشـا ولا أحسد أحد على خير أعطاه الله اياه • فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق »(2) •

---

(1) الحشر : 10

(2) رواه أحمد فى المسند جـ 3 ص 166

ـ أما أعلى مراتب هذه المحبة فهو الايثار : وهو تقديم الغير على خطوط النفس الدنيوية رغبة فى الأجر والثواب • وهو من أفضل المكارم الانسانية ومن أنبلها خلقا وأصالة • وقد امتدح الله فى القرآن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلق الايثار والمحبة •• فقال عز من قائل :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »(١) .

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية قصة تعد من أفخر ما سطر التاريخ من روائع المآثر والايثار (٢) • فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود ، فأرسل الى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء • ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ـ فقال : «من يضيف هذا الليلة رحمه الله»؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، الا قوت صبيانى قال : فعلليهم بشىء فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه • قال : فقعدوا وأكل الضيف • فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم • فقال : « عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة »(٣) •

ولقد جعل الله الايثار بالمال ركنا فى البر وقرنه بالايمان ، فقال عز وجل :

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب »(٤).

---

(١) الحشر : ٩
(٢) التكافل الاجتماعى فى الاسلام ـ عبد الله علوان ص ٥٥
(٣) صحيح البخارى (٣٧٩٨) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٦٢٤ ، ٢٠٥٤
(٤) البقرة : ١٧٧

وحين عكس المطففون الصورة المشرقة للايثار ، فان كالوا نقصوا وإن اكتالوا استوفوا وهو عين الأثرة — توعدهم الله بالويل ، فقال تعالى :

﴿ ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾(١) •

— ومن المراتب العلية للمحبة الايمانية العفو • وهو قرين الايثار ، لأن كلا منهما اسقاط لحق النفس من أجل الغير رغبة فيما عند الله • وأفضله ما كان عند المقدرة •

وأصدق مثال له : قصة يوسف مع اخوته التى حكاها القرآن الكريم مفصلة مرتبة محكمة بما لا يستطيع مثله أفصح لسان وأبين انسان • فهذا يوسف يؤخذ من بين يدى أبيه صباحا الى المرعى ليعود اليه مسرورا فى المساء • ثم لا يعود ، ويلقى فى غيابة الجب ، ويدعى اخوته أكل الذئب له ، فيجيبهم والدهم الصابر الواثق بالله :

﴿ بل سولت لكم انفسكم امرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ﴾(٢) •

ولا يزال يوسف يبتعد عن أبيه مكانا ويقترب منه لقاءا • وتشتد وطأة الحزن على يعقوب حين يلحق بنيامين بيوسف ، فتشتد ثقته بالله ، ويعود يكرر ما قال حين فجع بيوسف :

﴿ بل سولت لكم انفسكم امرا ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ، انه هو العليم الحكيم ﴾(٣) •

وعند تعقد حبك القصة تنكشف الأحداث المجهولة ، وتظهر الوجوه الغائبة ، وتلتقى الأبدان المتباعدة ، وتأتلف القلوب المتنافرة ، حين يرى اخوة يوسف أخاهم الذى عذبوه وأبعدوه صغيرا عن حنان أبيه الى ذل

---

(١) المطففين : ١ — ٣ (٢) يوسف : ١٨

(٣) يوسف : ٨٣

الرق وقسوة الاستعباد وغربة الوطن وضيق السجن — وهو عزيز مصر وحافظ أموالها . فيعتذرون اليه : **﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنـا لخاطئين ﴾(١) .**

فأجابهم — بروح الأخ المؤمن المســامح : **﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين﴾(٢)..** وبمثل هذا كان موقف أبيهم الذى تجرع مرارة بعد ابنيه عنه وكفاف بصره .

﴿ قال سوف استغفر لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم ﴾(٣) .

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾(٤) .

والعفو مزيل للضغائن ، محل للمحبة والاخاء محل البغض والعداء. قال تعــالى : **﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ﴾(٥) .**

وقد وعد الله العافين عن الناس بالمغفرة والجنة . فقال عز وجل :

﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعــافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(٦) .

— ولقد حرص الاسلام على تحقيق المحبة بين المؤمنين .

فكما أن شرائعه رافد كبير للمحبة بين المؤمنين ، سواءا فى الصلاة التى يؤديها المسلمون جماعة تحت سقف واحد يتبعون اماما خمس مرات فى اليوم والليلة ، أو فى الزكاة التى يواسى بها الأغنياء الفقراء كل عام ، أو فى الصوم الذى يشعر الغنى بحاجة أخيه الفقير الجائع ، أو فى الحج

---

(١) يوسف : ٩١
(٢) يوسف : ٩٢
(٣) يوسف : ٩٨
(٤) يوسف : ١١١
(٥) فصلت : ٣٤
(٦) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤

الذى يأتمر فيه المسلمون ، ويستوى زيهم ، ويلتئم شعبهم[1] . أو فى الأعياد التى تعود بطيب اللقاء وخالص الحب على المؤمنين مرتين كل عام.

فكذلك شرع أعمالا تثبت هذه المحبة وتزيدها :

فأمر بافشاء السلام ورده والمصافحة عند اللقاء واظهار البشاشة فى الوجه — قال تعالى :

« فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة »[2] .

وفى الحديث : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يفترقا »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »[5] .

وأمر بتشميت العاطس . قال عليه الصلاة والسلام : « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه »[6] .

وأمر بزيارة المريض — قال صلى الله عليه وسلم : « ان المسلم اذا عادة أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع »[7] .

---

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية — عبد الكريم عثمان ، ص١٥٢، ١٥٣
(٢) النور : ٦١
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٤ ، ٧٤
(٤) ابو داود : جـ ٥ ص ٣٨٨ ، ٥٢١٢
(٥) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٢٦ ، ٢٦٢٦
(٦) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٩٢ ، ٢٩٩٢
(٧) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٩ ، ٢٥٦٨

وأمر بافساح المسلم لأخيه فى المجلس — قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ﴾(١) .

وحث على ادخال السرور عليه وأن يدعوه بأحب الأسماء اليه .

قال صلى الله عليه وسلم : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة »(٢) . يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين ود أخيك : أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتوسع له من المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء اليه(٣) .

ان مما يبعث السرور فى النفس البشاشة والابتسام فى الوجه . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة »(٤) .

وكذلك الشكر لمن صنع لك معروفا ، وقد أكد على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »(٥) .

وشرع ما يخفف المصائب وما يعالج الحزن والكآبة اللذين يعتريان النفوس بسبب موت أو مرض . فمن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ، وكان يمسح بيده اليمنى على المريض(٦) .

وقد روى ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض يعوده قال له : « لا بأس .. طهور ان شاء الله »(٧) .

---

(١) المجادلة : ١١
(٢) الطبرانى : المعجم الصغير ج ٢ ص ١٤٧
(٣) الأخوة — حاسم مهلهل ، ص ٦١
(٤) الترمذى (١٩٥٧) عن أبى ذر .
(٥) أبو داود : ج ٥ ص ١٥٧ ، ٤٨١١
(٦) زاد المعاد — ابن القيم ج ١ ص ٤٩٤
(٧) فتح البارى — العسقلانى ج ١٠ ص ١١٨ ، ٥٦٥٦ ، الترمذى (١٩٥٦) عن أبى سعيد .

ولا شك أن لتلك الأفعال وهذا القول أثر بالغ فى نشـاط نفس المريض وتخفيف آلامه وايقاظ آماله فى الشفاء .

وأما عند مصيبة الموت فقد شرع الاسلام التعزية لأهل الميت فى مصابهم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم حاثا عليها : « ما من مؤمن يعزى أخـاه بمصيبة الا كسـاه الله عز وجـل من حلل الكرامة يوم القيـامة »[1] .

واذا كانت التعزية دعوة الى الصبر واحتساب الأجر عند الله فى المصيبة فهى أيضا مشاركة شعورية أخوية وكلاهما عاملا تخفيف للمصيبة وباعثان للمحبة والألفة . كذلك أمر أن يصنع لأهل الميت طعاما يرسـل اليهم به ، فقـد روى عبد الله بن جعفر قال : لمـا جـاء نعى جعفر حين قتل قال النبى صلى الله عليه وسـلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقـد آتاهم ما يشغلهم »[2] .

وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم والحمل عن أهـل الميت فانهم فى شغل بمصابهم عن اطعام الناس[3] .

وحث على الهدية ــ قال عليه الصلاة والسلام : « تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر»[4] . وهى من هديه صلى الله عليه وسلم تقول عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها »[5] .

وأمر بالتواضع ــ قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد »[6] .

وأوجب اجابة دعوة الأخ المسلم ــ قال صلى الله عليه وسلم : «حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه .. »[7].

---

(١)ابن ماجه جـ ١ ص ٥١١ ، ١٦٠١
(٢) أبو داود جـ ٣ ص ٤٩٧ ، ٣١٣٢
(٣) زاد المعاد ــ ابن القيم جـ ١ ص ٥٢٨
(٤) الترمذى (٢١٣١) عن أبى هريرة .
(٥) صحيح البخارى (٢٥٨٥) عن عائشة .
(٦) أبو داود جـ ٥ ص ٢٠٣ ، ٤٨٩٥ ، ابن ماجه (٤٢٦٧) عن أنس .
(٧) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٧٥ ، ٢١٦٢

وحرض على قبول اعتذاره . قال عليه الصلاة والسلام : « من اعتذر الى أخيه بمعذرة لم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »[1] .

وحث على ستر عيوبه والذب عن عرضه . قال عليه الصلاة والسلام: « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة »[2] . وقال : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة »[3] .

وأمر المسلم أن يعلم من يحبه أنه يحبه . قال عليه الصلاة والسلام : « اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »[4] .

وهناك أمور حرمها الاسلام حفاظا على المحبة والألفة بين المؤمنين : كالسخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب المكروهة وسوء الظن والتجسس والغيبة . قال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾(٥) .

والنميمة — قال تعالى : **﴿ ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم ﴾(٦)** .

والنجوى دونه — قال تعالى : **﴿ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾(٧)** .

---

(١) ابن ماجه (٣٧٦٢) عن جوذان .
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٢ ، ٢٥٩٠ .
(٣) الترمذى (١٩٣٢) عن أبى الدرداء .
(٤) أبو داود جـ ٤ ص ٣٤٣ ، ٥١٢٤ ، الترمذى (٢٣٩٣) كلاهما عن المقدام بن معد يكرب .
(٥) الحجرات : ١١ ، ١٢ — (٦) القلم : ١٠ ، ١١
(٧) المجادلة : ١٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنـــان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه »[1] .

والكبر — قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر »[2] .

والسب — قال عليه الصـــلاة والسلام : « سباب المسلم فســـوق وقتاله كفر »[3] .

والهجر — قال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[4] .

والرجوع فى الهبة — قال عليه الصلاة والسلام : « العائد فى هبته كالكلب يقىء ثم يعود فى قيئه »[5] .

والغش — قال صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »[6] .

والطعن فى النسب — قال صلى الله عليه وسلم : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت »[7] .

وبيع المسلم على بيع أخيه وخطبته على خطبته — فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد ، ولا تناجشوا ، ولا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما فى انائها »[8] .

واقامته فى مجلسه — عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى النبى

---

(١) صحيح البخارى (٦٢٩٠) عن ابن مسعود ، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧١٨ ، ٢١٨٤

(٢) صحيح البخارى (٦٠٧١) عن حارثة بن وهب .

(٣) صحيح البخارى (٦٠٤٤) ، صحيح مسلم (٦٤) عن عبد الله ابن مسعود .

(٤) صحيح البخارى (٦٠٧٧) ، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٨٤ ، ٢٥٦٠

(٥) صحيح البخارى (٢٥٨٩) ، صحيح مسلم (١٦٢٢) كلاهما عن ابن عباس .

(٦) صحيح مسلم ج ١ ص ٩٩ ، ١٠١

(٧) صحيح مسلم ج ١ ص ٦٧ ، ٨٢

(٨) صحيح البخارى (٢١٤٠) عن أبى هريرة .

صلى الله عليه وسلم أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه »[1] .

وقد جاء التصريح بهذا الحرص والاهتمام بأمر المحبة بين المؤمنين فى تحريم الله للخمر والميسر ، فقال عز وجل :

﴿ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ﴾(٢) .

ــ انه بهذا كان المسلمون متحابين ، وبهذه المحبة القوية كانوا على أعلى صور الأخوة ، بل أصبحوا كالجسد الواحد ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضــو تداعى له ســائر الجســد بالســهر والحمى »[3] ، [4] .

***

٢ ــ التراحم :

الرحمة عاطفة حية نابضة بالرأفة والشفقة ، جعلها الله فى قلوب الخلق لاسعادهم ، لا ينزعها الا من شقى ، ولا تكون فى مجتمع تآلف واتحد وعز .

والتراحم بين المؤمنين أثر لأخوتهم الايمانية . هل ترى أن قلوبا تحابت فى الله ، ونفوسا تولت حزب الله ، لا ترق الأخ من ذلك الحزب ضعيف عاجز أو فقير محتاج !!

لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوة متراحمين ، وبذلك أثنى الله عليهم ، فقال تعالى :

﴿محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(٥).

---

(١) صحيح البخارى (٩١١) ، صحيح مسلم (٢١٧٧) عن ابن عمر .
(٢) المـائدة : ٩١
(٣) صحيح البخارى (٦٠١١) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٩ ، ٢٥٨٦
(٤) انظر : الاخوة الايمانية ــ ابراهيم بن محمد آل سلطان ص ٣٢ــ٤٣
(٥) الفتــح : ٢٩

ثم قال فى ثوابهم :

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما﴾(١)

وهذا فى مقابل ما ذم الله به اليهود ، من عدم التراحم بينهم ، فقال تعالى:

﴿ باسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون ﴾(٢) .

ــ وذم الله ورسوله القلب القاسى . وهو قلب خلا من الرحمة ، وامتلأ بالكبر . قال تعالى :

﴿ الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان أبعد الناس من الله القلب القاسى »(٤) .

ــ وفى مفهوم الرحمة يدخل العدل ، اذ العدل فى الحكم رحمة ، والاحسان وهو تجاوز العدل فى التعامل الى الفضل رحمة . على أن الرحمة ــ كعامل نفسى ــ تستلزم انتفاء نية الاضرار عقلا(٥) .

وبهذه المعانى الثلاثة التى احتواها لفظ التراحم جاء قوله تعالى :

﴿ ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾(٦) .

ولقد جاء الاسلام بالتراحم العام والخاص :

ــ فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتراحم العام فقال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل »(٧) .

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) الحشر : ١٤
(٣) الحديد : ١٦ (٤) الترمذى (٢٤١٣) عن ابن عمر .
(٥) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده ــ فتحى الدرينى ص ٢٢٦
(٦) النحل : ٩٠
(٧) صحيح البخارى (٦٠١٣) ، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٠٩ ، ٢٣١٩

وقال أيضا : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[1].

وقرر الرحمة الخاصة لمن اتصف بالضعف والحاجة أو قامت عليه ولايـة :

ـ فحث على الرحمة للنساء . كالزوجة ، فى قوله تعالى :

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[2] .

وكالأرملة ، فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار »[3] .

وأمر بالرحمـة للأطفال ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على وعنـده الأقرع ابن حابس التميمى جالسا ، فقال الأقرع : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »[5] .

ـ واختص اليتامى بعناية فائقة . فدعا الى رحمتهم والاحسان اليهم والاصلاح لهم ولمـالهم .

قال تعالى : **﴿ ويسالونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فاخوانكم ﴾[6] .**

---

(1) الترمذى (١٩٢٥) ، أحمد (٦٤٩٤) كلاهما عن عبد الله بن عمرو .
(2) الروم : ٢١
(3) صحيح البخارى (٥٣٥٣) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٨٦ ، ٢٩٨٢
(4) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٣ ، ٥٩٩٧ ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٠٨ ، ٢٣١٨
(5) أبو داود جـ ٥ ص ٢٣٢ ، ٤٩٤٣
(6) البقرة : ٢٢٠ .

وقال أيضا : ﴿ فاما اليتيم فلا تقهر ﴾(١) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له : « ان أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » .. وقال باصبعيه السبابة والوسطى(٣) .

ــ وشمل الشيوخ وكبار السن بهذه الرحمة ، وفى مقدمتهم الأبوان ، يقول الله تعالى :

﴿ اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾(٤) .

وفى الحديث : « ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه »(٥) .

ولذا حرم قتل النساء والأطفال والشيوخ فى الحرب رحمة بهم .

ــ كذلك كانت وصيته بالرحمة للفقراء والمساكين والخدم والمرضى والعاجزين . قال تعالى :

﴿ ارايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾(٦) .

وقال : ﴿ واما السائل فلا تنهر ﴾(٧) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى أحدكم للناس فليخفف فان

---

(١) الضحى : ٩ (٢) احمد (٧٥٦٦) عن أبى هريرة .
(٣) صحيح البخارى (٦٠٠٥) عن سهل بن سعد ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٨٧ ، ٢٩٨٣
(٤) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ (٥) الترمذى (٢٠٢٣) عن أنس .
(٦) الماعون : ١ ــ ٣ (٧) الضحى : ١٠

فيهم الضعيف والسقيم والكبير ، واذا صلى أحـدكم لنفسـه فليطول ما شـاء »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه »[2] .

وقد دل على تعظيم هذه الرحمة والتحريض عليها مع الخاصة والعامة وبيان عاقبة المتصفين بها فى قوله تعالى :

﴿ فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة . او اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . اولئك اصحاب الميمنة ﴾(٣) .

ولتحقيق هذا التراحم نهج الاسلام فى دعوته الناس الى التراحم منهجا ساميا مؤثرا :

ـ فجعل رحمة الناس هدفا للرسـالة المحمدية . قـال تعـالى : **﴿ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴾(٤) .**

وسور القرآن كلها مفتتحة كلها ـ ما عدا براءة ـ بـ « بسم الله الرحمن الرحيم »[5] وهى العبارة المشتملة على وصف الشارع الحكيم بالرحمة العـامة والخاصـة .

ـ وجعلها صفة المبعوث بالدعوة محمد خير قدوة وأحسن أسـوة للمؤمنين ، قال تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾(٦) .

---

(١) صحيح البخارى (٧٠٣) ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٤١ ، ٤٦٧
(٢) صحيح البخارى (٢٠٧٨) عن أبى هريرة .
(٣) البـلد : ١١ ـ ١٨ (٤) الانبياء : ١٠٧
(٥) خلق المسلم ـ محمد الغزالى ص ٢٥٦
(٦) آل عمران : ١٥٩

حتى قال عليه الصلاة والسلام : « انى لأدخل الصلاة أريد اطالتها فأسمع بكاء الصبى فأخفف من شدة وجد أمه به »[1] . فصدق الله اذ يقول :

﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(٢) .

وأمر بالتراحم بقوله صلى الله عليه وسلم : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[3] . وبقوله : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل »[4] .

والاسلام هو الذى حث على الرحمة بالحيوان وجعلها سببا لدخول الجنة ــ فلئن كانت الرحمة لكلب تغفر ذنوب البغايا فان الرحمة بالبشر تصنع العجائب[5] .

ــ ونهى عن ايذاء المسلم وظلمه والاعتداء عليه والسخرية والاستهزاء من ضعفه أو حاجته . قال تعالى :

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾(٦) .

ان هذا التراحم نعمة ومنة من الله . ففى الحديث : « جعل الله الرحمة فى مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه »[7] .

***

---

(١) صحيح البخارى (٧٠٧) ، عن أبى قتادة ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٤٢ ، ٤٧٠

(٢) التوبة : ١٢٨ (٣) الترمذى (١٩٢٥)

(٤) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٣ ، ٥٩٩٧

(٥) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ص ٢٦٣

(٦) الأحزاب : ٥٨

(٧) صحيح البخارى (٦٠٠٠) عن أبى هريرة ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٠٨ ، ٢٧٥٢

٣ ــ التعاون على البر والتقوى :

ان الأخوة الايمانية الصادقة دافعة الى كل خير ، داعية الى التقوى، محققة للبر . وان التعاون على البر والتقوى أثر طيب وثمرة طيبة صالحة من ثمار الأخوة الايمانية ، ذلك أن الأخوة الصادقة المبنية على الحب فى الله والولاية لحزبه أبعد ما تكون عن العزلة والبخل والأثرة . والايمان الصحيح فى القلب الحى لا بد أن يضىء نوره ليشمل الآخرين .

وقد دعــا الاسلام الى التعاون فى الخير مطلقا ــ قال تعــالى : **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾(١).**

وقال عليه الصلاة والسلام : « الله فى عون العبد ما كان العبــد فى عون أخيه »[٢] .

ــ ويشمل التعاون : التعاون المــادى ببدن أو مال أو جــاه : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنتين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا »[٤] .

وقال : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له »[٥] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : «اشفعوا تؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب»[٦]

---

(١) المــائدة : ٢

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩) عن ابى هريرة .

(٣) صحيح البخارى (٢٧٠٧) ، صحيح مســلم (١٠٠٩) كلاهما عن ابى هريرة .

(٤) صحيح البخارى (٢٨٤٣) ، صحيح مســلم (١٨٩٥) عن زيــد ابن خالد الجهنى .

(٥) أبو داود (١٦٦٣) عن أبى سعيد .

(٦) صحيح البخارى (٦٠٢٨) عن أبى موسى .

ويشمل التعاون العلمي والفكري بما يحقق الصلاح الديني والدنيوي:

كالنصيحة : وهي معونة الأخ المسلم على اجتناب طريق الشيطان واغراءاته وما يضره في دنياه وفي أخراه . فيحذره من المعصية اذا رآه عليها ، ويذكره فضل الله وعظيم ثوابه للمؤمنين اذا رآه على الطاعة تثبيتا وذكرى نافعة ان شاء الله . ولذا وصف الله نبيه هودا عليه السلام بأنه ناصح لقومه فقال على لسانه : ﴿ **وانا لكم ناصح امين** ﴾(1) .

وقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم هي الدين كله ، وطلبها للدين كله ، ومن كل مسلم لكل مسلم : فقال : « الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(2) .

ومن النصيحة الارشاد الى ما يحفظ حياة أخيه المسلم ويرد عنه كيد الظالمين . وفيما قصه الله علينا في كتابه الكريم لنعتبر : قصة مؤمن آل فرعون ، فانه لما رأى عزم القوم على قتل موسى أسرع اليه وقال له :

﴿ **ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين** ﴾(3) ، (4)

كما أنه نصح له في ظهر الغيب ورد عن عرضه وحياته لما تمالأ القوم الكافرون على قتله فقال لهم : ﴿ **اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** ﴾(5) .

وقد قام ذلك المؤمن بواجب الأخوة الايمانية من النصيحة ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بكل فرعون سوء العذاب** ﴾(6) .

---

(1) الأعراف : ٦٨

(2) صحيح مسلم (٥٥) عن تميم الداري .

(3) انظر : فتح القدير ـ الشوكاني جـ ٤ ص ١٦٥ ، ٤٨٨

(4) القصص : ٢٠ (5) غافر : ٢٨

(6) غافر : ٤٥

هـذا وتشمل النصيحة للأخ المسلم ما هو أدنى من ذلك كاماطة الأذى عنه أو عن طريقه أو الارشاد له فى أرض الضلال ان كان بصيرا ، والبصر له ان كان ضريرا . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم مرآة أخيه ، فان رأى به أذى فليمطه عنه »[1] .

وقال : « ارشادك فى أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة »[2] .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وهو تعاون بالدعوة الى الله ، بالأمر بالمعروف لمن تركه أو عارضـه ، والنهى عن المنكر لمن ارتكبه أو دعا اليه وزينه ، وهو مقتضى الأخوة الايمانية يقول الله تعالى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٣) .

وبه أمر الله تعـالى فقال : **﴿ ولتكن منكم امـة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون ﴾(٤)** .

وأمر به رسوله صلى الله عليه وسـلم فقال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم »[5] .

وقال أيضا : « لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، ان كان ظالمـا

---

(١) أبو داود (٤٩١٨) ، الترمذى (١٩٣٠) عن ابى هريرة .
(٢) الترمذى (١٩٥٧) عن ابى ذر .
(٣) التـوبة : ٧١ (٤) آل عمران : ١٠٤
(٥) أبو داود (٤٣٣٦) عن ابن مسعود .

فلينهه فانه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره »[1] وبهذا التعاون الايمانى الصادق شرف الله الأمة الاسـلامية فقال :

﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾(٢)

وبتعطيله لعن الله بنى اسرائيل فقال عز وجل :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ﴾(٣) .

ــ والاصلاح بين الناس : وهو من التعاون فى الذروة ، لأن الأخوة الايمانية له أشـد اقتضاءا وايجابا ــ بعد اهتزاز ركنها وضعف كيانها ــ ذلك أن المسلم قد تعتريه نوازع الشيطان بما يثيره فى قلوب المؤمنين من العداوة والبغضاء ليكسر زجاجة الحب الصافية بينهم ويسـتمتع بجراح الشظايا التى يتقاذف بها المؤمنون . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم »[٤] ولذلك قال الله تعالى :

﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾(٥) .

ان الاصـلاح واجب وحق من حقوق الأخـوة الايمانية . يقول الله تعـالى :

﴿ انمـا المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقـوا الله لعـلكم ترحمون ﴾(٦) .

---

(١) صحيح البخارى (٢٤٤٣) عن انس .

(٢) آل عمران : ١١٠ (٣) المـائدة : ٧٨ ، ٧٩

(٤) صحيح مسلم (٢١٨٢) عن جابر .

(٥) الاسراء : ٥٣ (٦) الحجرات : ١٠

وقد جاء الأمر به فى مواقف معينة . كما اذا وقع قتال بين طائفتين من المؤمنين — حقنا لدماء الأخوة المسلمين — قال الله تعــالى :

﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين ﴾(١) .

وكالاصلاح بين الزوجين عند النشــوز ، سواء أكان من الزوج — لقوله تعــالى :

﴿ وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهمــا ان يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ﴾(٢) .

أو كان من الزوجة — لقوله تعالى :

﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلهــا ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا ﴾(٣) .

كما جاء الأمر به على العموم ، عند كل نزاع يفســد على المسلمين وحدتهم وأخوتهم ومودتهم ، قال تعالى :

﴿ لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين النــاس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجــرا عظيمــا ﴾(٤) .

ولأهميته شجع الاســلام عليه بأن شرع دفع الزكاة لمن غرم لاصلاح ذات البين ، فقال تعــالى :

﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين﴾(٥) .

---

(١) الحجرات : ٩
(٢) النساء : ١٢٨
(٣) النساء : ٣٥
(٤) النساء : ١١٤
(٥) التوبة : ٦٠.

وقد أمر الله عز وجل برد النزاع بين المسلمين الى الكتاب والسنة، لأنهما الفصل العدل فيه ، ولأن في ذلك اجتماعا للقلوب على طلب الحق، فتزول منها الضغائن والأحقاد ، ويبقى الود والصفاء . يقول الله تعالى :

﴿ فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تاويلا ﴾(١) .

هذا هو التعاون : مقتضى الأخوة الايمانية ، ومشربها العذب ، تدوم ما دام ، وتجتمع الكلمة ما أقيم ، ويدرك المسلمون كل نصر وكل عز وتمكين(٢) .

* * *

(١) النساء : ٥٩

(٢) انظر : الأخوة الايمانية ــ ابراهيم بن محمد بن عبد الله آل سلطان ص ٦٠ ــ ٦٤

المبحث الثانى

الثمــار الاخروية الآجلة

قال تعالى : ﴿ ان المتقين فى جنــات وعيون . ادخلوها بســـلام آمنـين ﴾(١) .

قوله تعالى : ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون ﴾ أى الذين اتقـوا الفواحش والشرك . « فى جنات » أى بساتين . « وعيون » هى الأنهار الأربعة : ماء وخمر ولبن وعسل . وأما العيون المذكورة فى سـورة « الانسان » : الكافور والزنجبيل والسلسبيل ، وفى « المطففين » : التسنيم ، وضم العين من « عيون » على الأصل ، والكسر مراعاة للياء . وقرىء بهما .

﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ قراءة العامة « ادخلوها » بوصل الألف وضم الخاء ، من دخل يدخل ، على الأمر . تقديره : قيل ادخلوها . وقرأ الحسن وأبو العالية ورويس عن يعقوب « ادخلوها » بضم التنوين ووصل الألف وكسر الخاء على الفعل المجهول ، من أدخل . أى أدخلهم الله اياها . ومذهبهم كسر التنوين فى مثل « برحمة ادخلوا الجنة » ، وشبهه ، الا أنهم ههنا ألقوا حركة الهمزة على التنوين ، اذ هى ألف قطع ، ولكن فيه انتقال من كسر الى ضم ثم من ضم الى كسر فيثقل على اللسان. « بسلام » أى بسلامة من كل داء وآفة ، وقيل : بتحية من الله لهم . « آمنين » أى من الموت والعذاب والعزل والزوال .

قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما فى صـدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾(٢) .

قال ابن عباس : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهما عينان ، فيشربون من احدى العينين فيذهب الله ما فى قلوبهم من غل ، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم ، وتجرى

---

(١) الحجر : ٤٥ ، ٤٦ (٢) الحجر : ٤٧ ، ٤٨

عليهم نضرة النعيم ، ونحوه عن على رضى الله عنه . وقال على بن الحسين: نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى والصحابة ، يعنى ما كان بينهم فى الجاهلية من الغل . والقول الأول أظهر ، يدل عليه سياق الآية . وقال على رضى الله عنه : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من هؤلاء ، والغل : الحقد والعداوة ، يقال منه : غل يغل . ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم: غل يغل ، ويقال من الخيانة : أغل يغل . كما قال :

جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة كاذب

وقد مضى هذا فى آل عمران . ﴿ اخوانا على سرر متقابلين ﴾(١) أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابا ، عن مجاهد وغيره .

وقيل : الأسرة تدور كيفما شاءوا ، فلا يرى أحد قفا أحد .

وقيل : ((متقابلين)) قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود . و ((سرر)) جمع سرير ، مثل جديد وجدد . وقيل : هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور . والأول أظهر . قال ابن عباس : على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر ، السرير ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى أيلة . و ((اخوانا)) نصب على الحال من ((المتقين)) . أو من المضمر فى ((ادخلوها)) أو من المضمر فى ((آمنين)) أو يكون حالا مقدرة من الهاء والميم فى ((صدورهم)) ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾ أى اعياء وتعب. ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول ، وأن أهلها فيها باقون. ﴿ أكلها دائم ﴾ ، ﴿ ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾(٢) .

— عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »(٣) .

---

(١) الحجر : ٤٧

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن — محمد بن احمد القرطبى ، ج ٩ ، ١٠ ص ٣٢ — ٣٤ ، بيروت — دار احياء التراث العربى ، ١٩٦٦ — والآية من سورة ص : ٥٤

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٤ ، ٢٦٩٩

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : « انى رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من أمتى قد استوحشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد استوحشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعودا حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبى ، ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلموه فجاءته صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ، ورأيت رجل من أمتى يتقى شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءت صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه، ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى وهو فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت

رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »[1] .

قلت : هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم ، وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال : قال الله عز وجل : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدى »[2] .

وخرج عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له : ما كنت تعمل ؟ فقال : انى كنت أبايع الناس فكنت أنظر الى المعسر وأتجاوز فى السكة — أو فى النقد — فغفر له »[3] .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال : انى معسر ، قال : آلله ؟ فقال : آلله ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه »[4] .

وعن أبى اليسر — واسمه كعب بن عمرو — رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله »[5] .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « من أنظر مديونا فله بكل يوم عند الله بوزن أحد ما لم يطلبه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٥ ص ٩
(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١١٩٦ ، ١٥٦١
(٣) رواه البخارى ومسلم ج ٣ ص ١١٩٥ ، ١٥٦٠
(٤) صحيح مسلم ج ٣ ص ١١٥٦ ، ١٥٦٣
(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٣٠٢ ، ٣٠٠٦

فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[1] .

وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أشبع جائعا وكسى عريانا وآوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة »[2] .

ان قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ، ويحس آلاءه فى كل نفس وكل نبضة ومن ثم يستصغر كل عباداته ، ويستقل كل طاعاته ، الى جانب آلاء الله ونعمائه . كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته ، ويرقب بكل مشاعره يد الله فى كل شىء من حوله ، ومن ثم يستشعر بالهيبة ، ويشعر بالوجل ، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر فى حقه ، لم يوفه حقه عبادة وطاعة ، ولم يقارب أياديه معرفة وشكرا ، وهؤلاء هم الذين يسارعون فى الخيرات ، وهم الذين يسبقون لها فينالونها فى الطليعة ، بهذه اليقظة وبهذا التطلع ، وبهذا العمل ، وبهذه الطاعة ، لا أولئك الذين يعيشون فى غمرة ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة ، مرادون بالخير ، كالصيد الغافل يستدرج الى مصرعه بالطعم المغرى . ومثل هذا الطير فى الناس كثير ، يغمرهم الرخاء ، وتشغلهم النعمة ، ويطغيهم الغنى ، ويلهيهم الغرور ، حتى يلاقوا المصير !

تلك اليقظة التى يفرضها الاسلام على قلب المسلم . والتى يستجيشها الايمان بمجرد استقراره فى القلوب ، ليست أمرا فوق الطاقة ، وليست تكليفا فوق الاستطاعة . انما هى الحساسية الناشئة من الشعور بالله والاتصال بالله . ومراقبته فى السر والعلن ، وهى فى حدود الطاقة

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧١٥ ص ١٠٣١

(٢) انظر : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة — للقرطبى — ص ٢٤٠ — ٢٤٢

الانسانية حين يشرق فيهـــا ذلك النور الوضيء : **﴿ ولا نكلف نفسا الا وسعها ، ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لا يظلمون ﴾(١) .**

ولقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس ، وهو محاسبهم وفق ما يعملونه فى حدود الطاقة ، لا يظلمون بتحميلهم ما لا يطيقون ، ولا يبخسهم شيئا مما يعملون ، وكل ما يعملونه محسوب فى سجل « ينطق بالحق » ويبرز ظاهرا غير منقوص ، والله خير الحاسبين .

ان أصحاب الجنة هم أصحاب الشعور بخشية الله ، خشية تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف ، الشعور الذى يزيح الحواجز ، ويرفع الأستار ويقف القلب عاريا أمام الواحد القهار . والذى يخلص العبادة ويخلص العمل من شـــوائب الرياء والشرك فى كل صـــورة من صوره . فالذى يخشى ربه حقا لا يملك أن يخطر فى قلبه ظلا لغيره مع خلقه . وهو يعلم أن الله يرد كل عمل ينظر فيه العبد الى غيره معه . فهو أغنى الشركاء عن الشرك ، فاما عمل خالص له ، والا لم يقبله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »(٢) .

ان أصحاب الجنة هم المتقون الخائفون المترقبون . والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه فى الدنيا ، وخوفها يوم القيامة . فمن اتقاه فى العاجلة آمنه فى الآجلة ، ومع الأمان فى أفزع موطن يغمره بالأنس والتكريم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : لا أجمـــع على عبدى خوفين ، ولا أجمـــع له أمنين ، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة »(٣) .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة وأصحابها

---

(١) المؤمنون : ٦٢
(٢) رواه الترمذى جـ ٨ ص ٣٠٣ ، ٣١٥٢
(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

فقال : « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه »[1] .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء » فقالوا : يا رسول الله ، صفهم لنا . فقال : « المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتزاورون فى الله »[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول : حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى »[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : بنعمة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال : أحبه فى الله ، قال : فان الله أرسلنى اليك أخبرك بأنه يحبك لحبك اياه ، وقد أوجب لك الجنة »[4] .

ان أهل الاخلاص المتحابين لله ، وفى سبيل الله يشملهم الله برحمته يوم تدنو الشمس من الرءوس .

ان الصديق الوفى يستمر فى عطائه الروحى والوجدانى والمادى لصديقه أو لأبناءه من بعده ويمتد وفاؤه أو يقصر حسب قواه الروحية .

ان الوفاء للصديق عطاء من طرف واحد ، هو صداقة بدون صديق .

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة .
(٢) رواه النسائى وهو صحيح .
(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه .
(٤) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٨ ، ٢٥٦٧

والوفاء للصديق بهذا الوصف فضيلة عليا بمعنى الكلمة ، فهو عطاء روحى ووجدانى ومادى لا ينتظر ردا ولا يتوقع أجرا . ان الصديق يستمر فى سؤاله عن صديقه ، وفى اتصاله به والاهتمام بأمره ومعاونته وتقديره والابتهاج له وبه . على الرغم من زوال الأسباب التى كانت من وراء ذلك ، وهذا العطاء وهذا الحب وهذا التقدير لا يفرضه العدل ولا يوجبه ، ومن ثم كان فضيلة خلقية عليا(١) .

ولذلك يعيش هؤلاء المؤمنون حياتهم الدنيا ربانيين ، يسلكون سبيل الفطرة ، سبيل الايمان بالله ، ويتصرفون تصرف « الخليفة » المسئول ، الذى يعطى ولا يأخذ ، والذى يصر على أن يقوم بكل ما يطلب اليـه أن يقوم به رغم مكر الشيطان وكيده وتقربا الى الله ، وأملا فى جنته ، وبعدا عن عـذاب ناره :

﴿ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المـال على حبـه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السـبيل والسـائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهـدهم اذا عاهـدوا ، والصابرين فى البأسـاء والضراء وحين البـاس ، أولئك الذين صـدقوا واولئـك هـم المتقون ﴾(٢) .

واذا تمرس الانسان فى حياته على حب الخير لغيره ــ وان لم يفعل هذا الخير ــ فان نفسه تصفو بالتدريج شيئا فشيئا من عامل الحقد ، حتى تصبح خالية منه أو على وشك الخلو . وبمقدار ما ينتزع منها الحقد ، بمقدار ما يتمكن منها حب الخير والمودة للناس ، وكلما تمكن هذا الحب للخير كلما أقدمت عليه ، وكلما بدا ذلك فيما تفعل ، أو فيما تتحدث ، أو فيما تنصح به للغير .

---

(١) الفضائل الخلقية فى الاسلام ــ احمد عبد الرحمن ابراهيم ــ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٢) البقرة : ١٧٧

ولأن انتزاع الحقد عامل أساسى فى تمكن الحب من نفس الانسان ، ولأن تمكن الحب من نفس الانسان سبب مباشر لسعادة الانسان ، امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بتلك السعادة التى تكون للمؤمنين المتقين فى حياتهم الأخروية فحققها له فى حياته الدنيوية فقال جل شأنه : ﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾[1] ، فالله سبحانه وتعالى شرح صدر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن نزع منه الحقد والغل ومكن من نفسه حب الخير ، وبالتالى جعلها نفسا مطمئنة راضية . من هنا ندرك لماذا دعا الاسلام الى نزع الحقد واحلال حب الخير محله فى قول رسوله الكريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

الاسلام اذن لا يبغى الا أن ينعم الانسان بحياته فى الدنيا على نحو ما يتفضل الله عليه بهذه الحياة المطمئنة فى آخرته ، وهو لا ينعم بحياة انسانية صافية الا اذا راض نفسه على حب الخير[2] .

ان الايمان هو مقدمة لحب الانسان للغير ، وان نتيجة الحب للغير هى الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة .

＊ ＊ ＊

---

(١) الشرح : ١

(٢) انظر : الاسلام فى حياة المسلم ــ محمد البهى ، ص ٣٦٦ ــ القاهرة ــ مكتبة وهبة ــ ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

خاتمة

أخى المسلم :

الأخوة الاسلامية لا تشترى بمال أو تورث عن أب ، فالمحبة سر ينقدح فى قلوب المؤمنين اذا شاء الله له أن ينقدح . والأخوة روح يبعثها الله فى الأفئدة اذا أراد لها أن تأتلف وتقترب ..

قال الله تعالى : **﴿ لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ﴾(1) .**

فالأخوة اذن نعمة قدسية تشرق بها القلوب التى رضى عنها مقلب القلوب ، وهى منحة من الرحمن يغدقها على المؤمنين من عباده الذين علم منهم صدق ايمانهم وعميق اخلاصهم .

انها امتزاج روح بروح ، وتصافح قلب مع قلب . انها الشراب الطهور الذى يسقيه الله لعباده المؤمنين ، فاذا المحبة تنبض فى عروقهم وتسرى مع دمائهم ، وتتألق فى وجوههم فيمسك الأخ بيد أخيه فى رفق واشفاق وحنو ، ويأخذ بهذه اليد الحبيبة الى قلبه ليسير بصاحبه فى ظلال المحبة وليستروح واياه نسمات الوفاء والاخاء .

والأخوة سر من أسرار الله يعقده بيده ولا يحل عقدته الا هو تبارك اسمه وجلت قدرته .

كانت أمنيتى أن أقدم لك الصورة الاسلامية المشرقة للأخوة الاسلامية ، وكنت أرى تفاريق هذه الصورة مبعثرة فى الكتب الاسلامية

---

(1) الانفال : ٦٣

فجمعتها من بطون الكتب على وجه يصلح لروح العصر ، وكم خشيت أن لا أوفق فى تقديم هذه الصورة على الوجه المرضى ، لأننا فى حاجة ماسة الى هذه الأخوة الاسلامية ليعم الترابط والمحبة والتعاون بين المسلمين .. والذى أرجوه بعد أن تقرأ « الأخوة الاسلامية » أن تتلمس لى العذر فيما قصرت فيه ، وتطلب من الله أن يعفو عنى وأن يغفر لى فيما وفقت اليه ، وأن تكون لى عونا فى تصحيح ما أخطأت واكمال ما نقصت ، فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .. وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المراجـــع

١ ــ الأخلاق الاسلامية وأسسها ــ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ــ دمشق ــ دار القلم ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

٢ ــ الأخوة ــ جاسم مهلهل .

٣ ــ الأخوة الايمانية ــ ابراهيم بن محمد آل سلطان ــ الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) .

٤ ــ الاسلام فى حياة المسلم ــ محمد البهى .

٥ ــ الآداب الشرعية والمنح المرعية ــ محمد بن مفلح المقدسى ــ الرياض ــ مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

٦ ــ الأنبياء فى القرآن الكريم ــ عفيف عبد الفتاح طبارة ــ الطبعة السادسة ــ بيروت ــ دار العلم للملايين (د.ت) .

٧ ــ الأنبياء فى القرآن ــ سعد صادق محمد ــ الرياض : دار اللواء للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

٨ ــ أدب المسلم فى العادات والعبادات والمعاملات ــ محمد سعيد مبيض ــ الطبعة الثانية ــ قطر ــ دار احياء التراث الاسلامى ، ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

٩ ــ التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ــ محمد بن أحمد القرطبى ــ المدينة المنورة ، المكتبة السلفية (د.ت) .

١٠ ــ التكافل الاجتماعى فى الاسلام ــ عبد الله علوان ــ حلب : المكتبة العربية ، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .

١١ ــ الجامع لأحكام القرآن ــ محمد بن أحمد القرطبى .

١٢ ــ الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده ــ فتحى الدرينى ــ دمشق : جامعة دمشق ، ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

١٣ ــ خلق المسلم ــ محمد الغزالى ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

١٤ ــ الخلق الكامل ــ محمد أحمد جاد المولى ــ القاهرة : المطبعة العثمانية المصرية ، ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

١٥ ــ روح الاسلام ــ محمد عطية الأبراشى ــ القاهرة : عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) .

١٦ ــ روح الدين الاسلامى ــ عفيف عبد الفتاح طبارة ــ الطبعة السابعة عشرة ــ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م).

١٧ ــ السلوك الاجتماعى فى الاسلام ــ حسن أيوب ــ القاهرة : دار البحوث العلمية ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

١٨ ــ سنن الترمذى ــ وهو الجامع الصحيح ــ محمد بن عيسى الترمذى ــ المدينة المنورة : المكتبة السلفية (د.ت) .

١٩ ــ سنن أبو داود ــ الامام أبى داود بن الأشعث ــ لبنان : دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

٢٠ ــ السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ القاهرة : الحلبى ، ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .

٢١ ــ صحيح مسلم ــ الامام مسلم ــ القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

٢٢ ــ صحيح البخارى ــ الامام البخارى ــ القاهرة : مطبعة البابى الحلبى ، ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) .

٢٣ ــ صبح الأعشى ــ القلشقندى .

٢٤ ــ العلاقات الانسانية فى القرآن والسنة ــ مجاهد محمد هريدى ــ الرياض : دار الرشيد للنشر والتوزيع ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) .

٢٥ ــ الفضائل الخلقية فى الاسلام ــ أحمد عبد الرحمن ابراهيم ــ الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

٢٦ ــ فتح البارى ــ ابن حجر العسقلانى .

٢٧ ــ القرآن الكريم .

٢٨ ــ معالم فى الطريق ــ سيد قطب ، (د.م) ، (د.ن) ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

٢٩ ــ مرشد الدعاة الى الله ــ أحمد بن محمد طاحون ــ جدة : المطبعة العربية ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

٣٠ ــ مع العقيدة والحركة والمنهج فى خير أمة أخرجت للناس ــ على عبد الحليم محمود ــ الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) .

٣١ ــ معالم الثقافة الاسلامية ــ عبد الكريم عثمان .

٣٢ ــ المعجم الصغير ــ الطبرانى ــ المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .

٣٣ ــ لمحات فى الثقافة الاسلامية ــ عمر الخطيب ــ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

٣٤ ــ مختار الصحاح ــ محمد بن أبى بكر الرازى .

٣٥ ــ نبراس المرشدين فى أمور الدنيا والدين ــ محمد البشير النيفر ــ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

٣٦ ـ فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

٣٧ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل .

٣٨ ـ رسالة الأخوة الاسلامية (د.م) ـ (د.ت) .

٣٩ ـ زاد المعاد ـ ابن قيم الجوزية .

* * *

فهرس الآيات القرآنية على ترتيب السور

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

***

فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث : مقومات الأخوة الاسلامية

(٩٩ — ١٣٥)

الفصل الرابع : ثمار الأخوة فى الله

(١٣٦ — ١٦٨)

رقم الايداع بدار الكتب ٧٣٤٨ / ٩٠

